الواحدية والثبات
عند
بارمنيدس

الدكتور

عبد القادر البحراوي

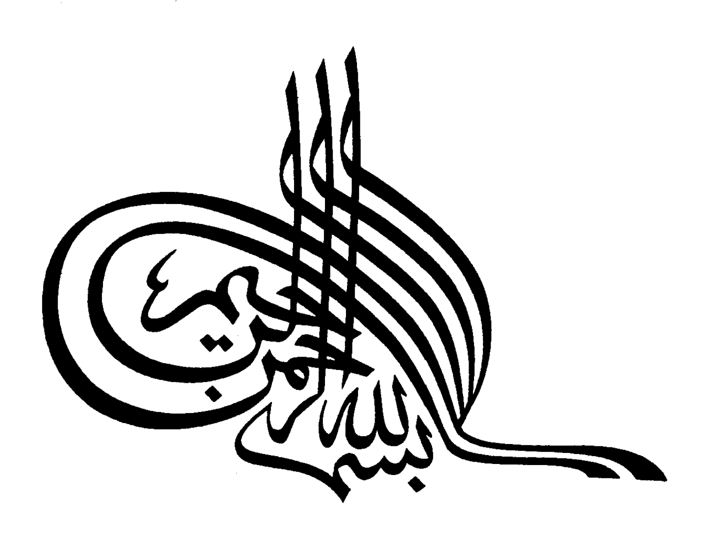
أستاذ مساعد بقسم الفلسفة

كلية الآداب ببنها

الطبعة الثانية

١٩٩١

دار المعرفة الجامعية



إهـــــــداء

إلى زوجـــتى وأبنـــائى

دكتور

عبد القادر البحراوى

« تمهيد »

لم يكن اختيار بارمنيدس نتيجة أنه أحد فلاسفة اليونان القدماء الذين أسهموا فى إعداد المسرح لظهور العمالقة الكبار. سقراط وأفلاطون وأرسطو، وإن كان هذا وحده قد يكون مبرراً كافياً للاختياره .

ولكن الأهتمام ببارمنيدس له ـ إلى جانب ذلك ـ دوافعه الخاصة والمتميزة ، لأنه ـ كما سيتضح لنا من هذه الدراسة ـ الفيلسوف الذى يمكن القول أن يقسم المرحلة السابقة لسقراط إلى قسمين ، فالفلاسفة الذين أتوا بعده لم يكن من السهل أمامهم أن يتحاهلوا ما جاء به من أفكار مبتكرة أرادوا بفكرهم قبولاً أو أهتماماً .

ومن ناحية أخرى فبارمنيدس هو الفيلسوف الوحيد ـ فى المرحلة السابقة لسقراط ـ الذى جعل الفلسفة تتخذ مساراً جديداً يختلف تماماً عن مسارها قبله ، لأنه أقام فكره كله على فكرة الوجود بما هو وجود ، أو كيف وصل إلى ما هو عليه ، ولا م يتكوّن أو كيف وصل إلى ما هو عليه، فتلك أسئلة كانت تشغل أهتمام الفلاسفة الماديين من قبله ، كما أنها كانت محل اهتمام ـ بدرجة ما ـ الفيثاغوريين كذلك ، فجاء بارمنيدس ووجه الانتباه إلى الوجود فى ذاته ، فما هو ؟ وما هى خصائصه الثابتة الأصيلة ؟

وقد كانت هذه البداية الجديدة ـ والغريبة فى ذلك الحين ـ هى التى جعلته يستحق لقب الفيلسوف الميتافيزيقى الأول أو مخترع الميتافيزيقا ، ذلك المبحث الهام الذى يعتبر لب الفلسفة وقلبها .

ومن هذا المنطلق ـ وحتى يصل إلى تصور كامل عن هذا الوجود ـ إتجه بارمنيدس اتجاهاً عقلياً خالصاً جعله يرفض الدراسات المادية ولا يركن

إلى المعطيات الحسية ويكرس كل جهده فى الاستدلالات العقلية ، وقد أتاح له هذا الوصول إلى كثير من أساسيات التفكير المنطقى الصورى حتى أطلق عليه كثير من الباحثين اسم « نبى المنطق » .

وسوف نلاحظ أثناء رحلتنا معه أن المنطق الصورى ـ كما نجد صورته الكاملة عند أرسطو ـ له بذوره وبداياته الأولى فى فلسفه بارمنيدس .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فان بعض الاستبصارات العلمية والمنهجية التى توصل إليها بارمنيدس كان لها تأثيرها القوى فى الفكر الانسانى ، وربما حتى العصور الحديثة .

وبارمنيدس ـ إلى جانب هذا كله ـ شخصية تتسم بالعمق وتعدد الجوانب ، وهى صفات جعلت منه مادة خاصة لدراسات متنوعة وعديدة أكثر من أى فيلسوف يونانى آخر فى الفترة السابقة لسقراط . بالاضافة إلى أن هذه الدراسات قد ذهبت اتجاهات شتى فى تفسير فلسفته ، فهو ميتافيزيقى من الدرجة الأولى فى نظر البعض ، ومنطقى خالص فى نظر آخرين ، وفلسفته مثالية مطلقه عند البعض ، أو هى مادية مغرقة فى ماديتها عند البعض الآخر .

وإذا كان هناك من يسميه «نبى المنطق» وفيلسوف الصورية الخالصه، فهناك كذلك من وجد فى كتاباته نزعة صوفية أيضا .

علاوة على هذا كله فإن كثيراً من الباحثين فى فلسفته ـ قدماء ومحدثين ـ يرون أن فكر بارمنيدس من العمق والغموض والتنوع بحيث يمكن القول أنه ـ حتى الآن ـ لم يدرس الدراسة الكافية ، وأنه فى حاجة إلى مزيد من البحث وإلقاء الضوء عليه .

هذه هى المبررات التى دفعت إلى تخصيص هذا العمل لبارمنيدس ، فى محاولة لتفهم فلسفته والتفسيرات التى قُدمت لهذه الفلسفة ، والنظر إليه نظرة أكثر حداثه فى ضوء مسيرة الفكر الأنسانى وانجازاته حتى العصر الحديث .

وقد قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول وخاتمة ، فى الفصل الأول تناولنا حياة بارمنيدس والعوامل التى أثرت فى فكره والفلاسفة الذين تتلمذ عليهم ، كما عرضنا فى هذا الفصل للفلاسفة الذين سبقوه أو عاصروه والأفكار التى كانت سائدة حينذاك ومدى معرفة بارمنيدس بها ، وفى هذا الفصل أيضا أشرنا إلى انجازات ونشاطات بارمنيدس فى المجالات العلمية والسياسية والقانونية ، ودلالة كل هذا على شخصيته .

أما الفصل الثانى فقد خصص لما بقى لنا من أعماله ، وهو بعض أجزاء قصيدته « عن الطبيعة » وهى العمل الوحيد الذى كتبه بارمنيدس فى المجال الفلسفى ، وكان اختيارنا لأكمل نصوص هذه الفقرات الباقية والتى أوردها ـ كاملة تقريبا ـ الاستاذ جورجيورى سانتيلانا فى كتابه « أصول التفكير العلمى » .

وبعد تقديم ترجمة عربية لهذا النص ، قدمنا فى هذا الفصل عرضاً لفلسفه بارمنيدس يقوم ـ فى جوهره ـ على تحليل فقرات القصيدة ، فقرة فقرة بهدف استخراج كل ما فيها ـ قدر الاستطاعة ـ من أفكار فلسفية ومنهجية .

أما الفصل الثالث ـ والأخير من هذا الكتاب ـ فقد عرضنا فيه بالتفضيل تأثيرات أو أصداء فلسفة بارمنيدس عند كثير من الفلاسفة الذين جاءوا بعده ، وقدمنا ـ كذلك ـ عدداً من التفسيرات والتأويلات التى قام

بها كثير من المفكرين ـ فى عصور مختلفة ـ لفهم فلسفة بارمنيدس ، وفى هذا الفصل أيضا زكرنا على إبراز الجوانب الايجابية التى ابرزتها هذه التفسيرات المختلفة ، وإن كان هذا لم يمنع من الاشارة إلى جوانب الضعف فى فلسفة بارمنيدس .

أما الخاتمة فقد كانت كلمة موجزة حاولنا فيها تركيز ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج .

وفى نهاية البحث وضعنا النص الأجنبى لقصيدة بارمنيدس « عن الطبيعة » ليسفاد منها القارىء .

ونرجو ـ فى الختام ـ أن نكون بهذا العمل قد أسهمنا فى إلقاء بعض الأضواء على فلسفة بارمنيدس أو ـ على الأقل ـ نجحنا فى لفت الانتباه إلى هذه الشخصية الخصبة والفريدة .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ،

والحمد لله رب العالمين ، وسلام على المرسلين .

دكتور/ عبد القادر البحراوى

ميامى : يوم ٢١ سبتمبر ١٩٩١

الفصل الأول

بارمنيدس

حيــاته واعمــاله

حيــاتــه

رغم أننا لا نعـرف الكثيـر عن حيـاة بارمنيـدس ـ كـمـا يقـول برتراندراسل[1] ـ أو لم تصلنا معلومات مفصلة عن هذه الحياه ، شأنه فى ذلك شأن الكثير من غيره من فلاسفة اليونان الأوائل ، إلا أننا يمكن ـ إعتـماداً على ماوصلنا من معلومات محدوده ـ تقديم صورة عن حياة وشخصية هذا الفيلسوف الكبير .

فـمن المتفق عليه أن ولد حوالى عام ٥١٥ ق . م[٢]، وإن كان ديوچانيس لايرتوس[٣] Diogaanes Laertius يذكر فى كتابه « حياة الفلاسفة » أن بارمنيدس قد ولد قبل ذلك بحوالى ٢٥ عاماً ، إستناداً إلى ما ذكــره أبوللو دوروس Apollo dorus المؤرخ وعـالم اللغة والأسـاطير الشهير[٤].

ويذكر أفلاطون فى محاورته « بارمنيدس » قصة لقاء فى أثينا بين بارمنيدس وتلميذه زينون وسقراط ، وكان بارمنيدس حين ذلك فى سن الخامسة والستين ، وزينون فى حوالى الأربعين بينما كان سقراط لا يزال

١ ـ برتراندراسل : « حكمة الغرب » ترجمة د . فؤاد زكريا ، الجزء الأول العدد رقم ٦ من سلسلة كتب عالم المعرفة الكويتية سنة ١٩٨٣ ص ٥٢ .

٢ ـ يرد هذا التاريخ فى « الموسوعة الفلسفية » للدكتور عبد المنعم الحفنى ص ٨٥ ، وكذلك فى مادة « بارمنيدس الايلى » بموسوعة الفلسفة بإشراف إيدواردز ـ وان كان جيورجيو سانتلانا فى كتابة « أصول التفكير العلمى » يذكر أن مولده كان عام ٥٢٥ ق . م بينما يذكــر الدكتور أبو ريان سنة ٤٥٠ .

٣ ـ مؤرخ يونانى عاش فى أوائل القرن الثالث ق . م ويعتبر كتابة « حياة الفلاسفة » من أهم المصادر عن حياة الفلاسفة والشعراء القدماء .

٤ ـ عاش تقريبا حتى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد وكتابه « بيليوتيكا Bibliotkea » أو «المكتبة» من المصادر القيمة عن الآلهة والأساطير اليونانية .

Dictionary of classical Mgthology. by : J. E. Zimmernaan New Youk 1977 P. 26 .

شاباً صغيراً ، ولكنه كان على درجة من النضج جعلته يشترك فى الحوار الفلسفى الذى دار خلال هذا اللقاء . ويصف أفلاطون هذا اللقاء فى محاورته السابقة قائلاً : « ذات مرة جاء زينون وبارمنيدس إلى أثينا لحضور الاحتفالات القوميه العظيمه ، وكان بارمنيدس متقدماً فى السن ، فى حوالى الخامسة والستين ذا شعر ابيض تماماً وذا مظهر مهيب ، وكان زينون فى الأربعين من عمره تقريباً أما سقراط فقد كان مراهقاً صغيراً فى ذلك الوقت[٥] .

وهناك ما يشبه الاجماع على أن هذا اللقاء قد تم عام ٤٥٠ ، ولما كان سقراط قد ولد عام ٤٧٠ أو ٤٦٩ وكان وقت اللقاء يتخطى الخامسة والعشرين فإن هذا يجعل ميلاد بارمنيدس فى الفترة بين عامى ٥١٥ و ٥١٠ تقريباً [٦] ، وان كان هناك من يشكك فى حقيقه رواية أفلاطون عن هذا اللقاء [٧] .

ومع ذلك يمكن الثقه بأقوال أفلاطون فيما يتعلق بأعمار هؤلاء الفلاسفة ، أياً كانت درجة صحة الرواية ، لأنه ليس هناك أى سبب يدعو أفلاطون لتقديم هذه المعلومات الدقيقه ما لم يكن يدرك تماماً أنها صحيحه[٨] .

---

(5) W. K. C. lyuthrie : A History of Greek Philosophy. Vol I cambridge Universty Press 1952, P. 1 .

(٦) د . أحمد فؤاد الأهوانى :
ص ١٢٧ ومقال « بارمنيدس » فى موسوعة الفلسفة « مرجع سابق .
وكذلك برتراند راسل : المرجع السابق ص ٥٢ .

(7) Jserac Azimov : Biograplical Eney clopedia of Scienee and technology. London 1975 P. 7 .

and Cornford, F. m: Plat's theory of knowledge. London 1979 P. 1 .

(8) W. K. C. Gyuthrie : Op. cit P. 2 .

وقد ولد بارمنيدس فى مستعمرة إيليا Elea بجنوب إيطاليا ، والتى أسسها اليونانيون الذين هاجروا من بلادهم فى أعقاب الغزو الفارسى(٩) بقيادة هارباجوس الميدى (١٠)، واحتلال معظم المدن فى منطقة أيونيه ، والذين هاجروا رافضين الخضوع أو الإستسلام للغزاة الأجانب .

وكان بارمنيدس من مواليد الجيل الأول - تقريباً - لهؤلاء المهاجرين(١١)، وقد نشأ هناك كما شارك فى سياسة المدينة وأصبح فى وقت من الأوقات مواطنها الأول (١٢).

ويقول سبيسيوس - إبن أخت أفلاطون ورئيس الأكاديميه بعد وفاته - أن بارمنيدس قد شرّع بعض القوانين لمدينة إيليا (١٣)، كما يذكر سانتيلانا أن هذه القوانين قد لقيت تقديراً وإحتراماً فى جميع أنحاء اليونان - وليس فى إيليا وحدها (١٤) - وبهذه المناسبة يذهب ديوجانيس لايرتيوس إلى أن حكام إليا كانوا يجعلون المواطنين يجتمعون فى حقل سنوى يجددون فيه ولاءهم لدستور بارمنيدس واحترامهم للقوانين التى وضعها (١٥).

ويمكن أن نستنتج من هذه الأخبار أن بارمنيدس كان ذا عقليه منطقية منظمة بوصفه مشرعاً أو واضعاً لقوانين مدنيته ، وهذه صفة سوف نجدها واضحة تماماً فى الأجزاء الباقية لنا من قصيدته .

---

(٩) كانت بداية هذا الغزو عام ٥٤٦ ق . م - أنظر دكتور حسين الشيخ : « اليونان » إسكندرية عام ١٩٩٣ ص ٢٣٦ .

(١٠) نسبة الى القبائل التى كانت تسكن منطقة ميديا Media جنوب بحر قازوين ضمن امبراطورية الفرس .

(11) Giorgio de santillana: The origins of scientic Thought. New York 1961 P, 88 .

(12) Ibid : P. 88 .

(١٣) دكتور أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ص ١٢٨ .

(14) B. D. Santillama: op. cit P. 88 .

(15) Ibid : P; 88 .

وكذلك د . أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ص ١٢٨ .

وبارمنيدس هو المؤسس الحقيقى للمدرسة الإيليه ، وإن كان هناك من يذكر أن مؤسسها الأول هو إكسانوفان(١٦) الذى كان يكبر بارمنيدس . ولكن هذا الرأى غير صحيح لأن إكسانوفان كان ذا نزعة صوفيه يرى أن المعرفة الحقة لا سبيل للإنسان الى الوصول إليها بل هى لله وحده ، ومن ثم فلا سبيل إلى اليقين (١٧) .

ومن الطبيعى أن هذه الأراء تتعارض مع ما عُرف عن أفكار المدرسة الإيليه وخصوصاً أفكار بارمنيدس نفسه . ورغم هذا فإن أفلاطون فى محاورته « السوفسطانى » يشير إلى أن مؤسس المدرسة الإيليه هو إكسانوفان(١٨) .

ويشير جدى إلى أن فكرة إكسانوفان عن الوحدة كان لها تأثير كبير وواضح على بارمنيدس ، سواء جاء هذا التأثير من كتاباته أو من لقاء الرجلين (١٩) .

وان كان ديوجنس لايرتيوس يذكر أن بارمنيدس رغم أنه يعتبر تلميذاً لكسانوفان إلا أنه لم يتابعه ، وربما كان ما يقصده هو أن بارمنيدس لم يتابع أستاذه فى قوله بعدم إمكان المعرفه أو إستحالة الوصول إلى اليقين . وهذا التفسير هو ما يؤكده التعارض الشديد بين الرجلين حول إمكان سلوك طريق الحقيقة .

---

(١٦) دكتور/ محمد على أبو ريان : « تاريخ الفكر الفلسفى » الجزء الأول دار المعرفة الجامعية ـ إسكندرية سنة ١٩٨٥ ص ٨٨ .

(١٧) دكتور/ عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٦١ .

(١٨) مادة (بارمنيدس فى موسوعة الفلسفة) ويعلق كاتب هذه المادة بقوله أننا يجب ألا تأخذ ملاحظة أفلاطون هذه مأخذ الجد .

(19) Guthnie : op. cit P. 2 .

ومن الأحداث ذات الدلاله ـ فى حياة بارمنيدس ـ إرتباطه بأمينياس Ameinias وابن ديوكـاتيس Diochaites الفيثاغورى [٢٠]، وقد تأثر بارمنيدس بآراءه الفيثاغوريه وإن كان قد انصرف عنها فيما بعد ، كما سنرى عند عرض فلسفته .

وعندما توفى أمينيابس بنى له بارمنيدس ضريحاً ، تقديراً له ووفاءً لرفقته وهذه الواقعة يمكن أن تدلنا على أن بارمنيدس كان غنياً ومن أصل طيب [٢١]، وعلى درجه كبيره من الوفاء والسخاء .

أما عن صلته بهرقليطس والذى كان معاصراً له ـ وإن كان يكبره بحوالى ثلاثين عاماً ـ فلا يوجد بين الأخبار التى وصلتنا أنه قد تم لقاء بينهما ، ولكن الواضح أن بارمنيدس كان على علم جيد بآراء هيرقليطس ، وكذلك بآراء الفلاسفة الطبيعيين السابقين .

وسوف نلاحظ عن مناقشه آراءه ـ فى الفصل القادم ـ أن فلسفته ممكن إعتبارها رداً ، بل رفضاً لفلسفه هيرقليطس القائمة على التغير المستمر، وكذلك لفلسفة الطبيعين السابقين حول خلق أو أصل العالم ، وأيضاً لبعض الآراء الفيثاغورية المتعلقة بالمعرفة الحسية .

وإلى جانب مساهمات بارمنيدس السياسية والتشريعية، فقد عرفت عنه بعض الجهود فى مجال علم الهندسة إذ قام بتصنيف الأشكال الهندسية، وقد يكون هذا بتأثير من المدرسة الفيثاغورية . أما فى مجال علم الفلك فيقال أنه هو الذى حدد أن نجمة الصباح ونجمة المساء هما فى الحقيقة

---

(٢٠) كل ما نعرفه عن أمينياس هو أنه كان من الأشراف ، وقد عاش فقيراً ولكنه كان ذا شخصية جذابه ، ومن الواضح أن العلاقة بينة وبين بارمنيدس كانت علاقة وثيقة .

(21) Guthrie : op . cit P. 2 .

نفس الكوكب [٢٢]، بالاضافة إلى أنه حدد على كوكب الأرض المناطق الخمسة التى ينقسم إليها وفقاً للدوائر المداريه والقطبية [٢٣]. كما يذكر ثيوفراسطس[٢٤] أن بارمنيدس هو أول من قال بكروية الأرض وأن القمر يضىء نتيجة لانعكاس الضوء عليه [٢٥].

يضاف إلى هذا كله أننا عندما نقرأ الأجزاء الأخيره من القصيده ـ أو مابقى لنا منها ـ سنلاحظ أن بارمنيدس يتحدث عن بعض الأمور التى ترتبط بعلوم الحياة ، ويقدم بعض الآراء الصائبة التى تتفق ـ إلى حد كبير ـ مع ما وصل إليه العلم .

فبارمنيدس كان شخصية متعددة الجوانب والمواهب ، وذا إنجازات عديدة فى مجالات مختلفة ، ولكن ـ كما يقول چيودچيودى سانتيلانا ـ فان عظمته ومجده يأتيان من إنجاز مختلف تماماً ، فمن المعروف أنه مخترع التضمن المنطقى[٢٦] Logical implication إلى جانب أنه ـ كما سنرى . أبو المتيافيزيقا بالمعنى الدقيق .

---

(٢٢) هى فى الحقيقة النجم سيريوس Sirius أو الشعرى اليمنيه ، وليس كوكبا كما أثبت الفلكيون بعد ذلك .

(23) G. D. Santillana : Op. cit P. 89 .

(٢٤) هو تلميذ أرسطو وخليفته فى رئاسة المدرسة المشائية ، وقد عاش فى الفترة بين عام ٣٧١ وعام ٢٨٦ ق . م تقريباً .

د . عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » ص ١٤٧ .

(25) G. D. Santillana : Op. cit. P. 89 .

(26) Giorgio de Santillana : Op. cit. P. 89 .

كتـــاباته

ما نعرفه هو أن بارمنيدس لم يكتب إلا عـمـلا واحداً فقط ، أبدعه شعراً ، وقد أطلق عليه ـ فيما بعد ـ عنوان « عن الطبيعه On nature » وقد بقيت هذه القصيده كاملة حتى عهد سمبليفيوس[٢٧] Simplicius ، الذى لاحظ أن نسخ القصيده نادرة . ولذلك سجل فى كتاباته مختارات مطولة منها ، ولذلك يرجع الفضل إليه فى أننا لدينا الآن حوالى ١٥٠ أو ١٥٤ بيتاً أو سطراً من هذه القصيدة [٢٨] .

والقصيدة تنقسم ـ بعد المقدمة ـ الى قسمين رئيسيين : **الأول** : عن طريق الحقيقة ، **والثاني** : عن طريق الظن . وبعد تحليل لمضمون ماوصلنا من هذا العمل يقرر ديلز Diels أن مابقى لنا يشكل حوالى تسعة أعشار القسم الأول ، بينما لم يصلنا من القسم الثانى إلا شذرات بسيطة ربما تقارب العشر . ويعقب على ذلك قائلاً أنه من حسن الحظ أن القسم الأول هو الأكثر أهمية [٢٩] ، ويشير ديلز الى أن نسخة القصيده التى إعتمد عليها سمبليقيوس كانت نسخة ممتازه وربما كانت موجودة حين ذلك فى الأكاديمية [٣٠] .

---

(٢٧) أفلاطون فى محدث من القرن السادس الميلادى وأحد شراح أرسطو ، ومن الذين تخرجوا فى مدرسة الأسكندرية الفلسفية ، وترجع أهميته إلى أنه أورد فى كتاباته الكثير من أقوال الفلاسفة السابقين على سقراط ومنهم بارمنيدس . د . عبد المنعم الحفنى : مرجع سابق ص ٢٤٦ .

(28) Jonathan Barnes : The Presocratic Philosophess . London 1982, P. 155 .

(29) Guthrie : Op. cit P. 4 .

(30) Ibid : P. 4 Fn., (10 .

وقــد أودع بارمنيــدس أفكاره فى هذه القـصـيـدة ذات الوزن السداسي[٣١] Hexameter وهو الوزن الذى كان يستخدمة هوميروس وهزيود فى أعمالهما الملحمية كما أنه الوزن الذى كان يستخدم فى الشعر التعليمى .

ومن الجائز أن بارمنيدس عندما لجأ إلى الشعر للتعبير عن أفكاره كان متأثراً بأستاذه أكسانوفان الذى كان شاعراً مجيداً ، ومع ذلك فقد أختلف الشراح فى تعليل إتخاذه الشعر أداة للتعبير عن فلسفته ، فيرى فلوطرخس[٣٢] أن جمال النظم يضفى على الموضوع طلاوه ورقة ، ولما كان بارمنيدس يدرك وعورة الفلسفة وصعوبتها فقد لجأ إلى الوزن للتخفيف من جفافها وجعلها مقبلوة [٣٣].

وعلى النقيض من هذا يرى بارنز Barnes أن من الصعب إيجاد عذر لبارمنيدس فى رجوعه إلى الشعر تعبيراً عن فلسفته ، لأن متطلبات الوزن والأسلوب الشعرى تؤدى ـ غالبا إلى غموض يصعب إختراقه ، كما يسبب أحياناً صعوبه فى فهم الأفكار [٣٤].

بل إن جشرى يذهب إلى أن هذا الشعر قد جعل بعض سطور أو أبيات القصيدة غير قابلة للتفسير على الاطلاق [٣٥] إلى جانب أن

---

(٣١) الوزن السداسى أو الأهكساميتر من كلمة يونانية هى (هدكساتيرون) وهو وزن من الشعر يقوم على التقسيم الكمى للبيت ، أى على عدد الحروف والمقاطع وما يستغرقه نطقها ، ويبدو أنه كان الوزن الشائع فى اللغات الهندو أوروبية، ولذلك نجده موجوداً فى الفارسية والسنسكرتييه.
د. أحمد عثمان : « الشعر الإغريقى » ، الكتاب رقم ٧٧ من سلسلة كتب عالم المعرفة الكويتية الصادر عام ١٩٨٤ .

(٣٢) مؤرخ وكاتب يونانى عاش فى أثينا وروما خلال الفترة من عام ٤٦ الى ١٢٠ بعد الميلاد ، وكان كاهنا لمعبد دلفى .

(٣٣) دكتور أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ص ١٢٨ .

(34) Barnes : Op. cit. P. 155 .
(35) Guthrie : Op. cit. P. 4 .

الافتتاحية أو المقدمة مليئة بالصور الخيالية ، وغارقة فى حماس ونشوة دينية لايمكن تجاهلها .

وقد يكون هذا الوصف الأخير هو الذى دفع برتراندراسل إلى القول أن بارمنيدس هو مصدر إتجاه مبكر نحو التصوف ، وإن كان يطلق عليه إسم « التصوف المنطقى » (٣٦).

وقد يقال أن الشعر أداة تعليميه يسهل حفظها . وهناك أيضاً من يرجع السبب فى إختيار بارمنيدس للشعر إلى أنه هو شخصياً كان يتمتع بشاعرية عاليه وخيال خصب (٣٧)، وليس مجرد رغبة فى صياغة منظومة .

وقد يكون من المحتمل أن بارمنيدس كان يرى فى فلسفته نوعاً من الإلهام أو الوحى ، ولذلك وجد أن لغة الشعر ــ بما تشتمل عليه من صور جماليه وإيقاعات نغميه ــ هى اللغة المناسبة لهذا النوع من الإلهام (٣٨).

ويمكن القول أن بارمنيدس قد تابع التقاليد اليونانية الراسخه عند شعراء اليونان ، ومنها أن الشاعر لا يقول شعراً دون مساعدة عرائس الشعر وملهماته ، أو بدون وحى من الآلهة ، نجد هذا عند هيزيود وهوميروس وغيرهما (٣٩)، فليس مستغرباً ــ إذن ــ أن يضع بارمنيدس خلاصة فكره كله على لسان الالهة ــ ألهة العدالة ــ ربما إحساساً بمدى جدية وأهمية هذا الفكر .

---

(36) B. Russell : Mysticism and logie. London 1963 P. 13 .

(37) Guthrie : Op. cit. P. 4 .

(٣٨) دكتور / أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ص ١٢٨ .

(39) Guthrie: Op. cit : P. 6 .

أما متى كتب بارمنيدس قصيدته هذه ، فيبدوا أنه صاغها فى مرحلة متأخرة من حياته ، حينما نضج فكره وأحس بأصالته وتفرده عن غيره من السابقين أو المعاصرين . ودليلنا على ذلك أنه يعرض فى هذه القصيده فقره لفلسفات السابقين ورفضة لها ، وهو أمر لم يكن ليتحقق له إلا بعد فتره طويلة من الإلمام بهذه الفلسفات وتأملها بدقة كبيره ، إلى جانب أنه يقدم لنا شيئاً جديداً لم يكن للفلسفة السابقة عهد به وهو ما سنراه فى القصيده وعند مناقشتنا لفلسفته فى الفصل القادم .

أما أن الإلهة تصفة ـ أو تناديه ـ بالشاب ، فيمكن تفسير ذلك على أنه مجرد الصيغة المناسبة لحوار بين إلهة عظيمة وبين إنسان فانٍ ، وليس لهذه الصيغة أى دلالة حرفية على سن معين .

والترجمة التى تقدمها فى الجزء التالى من هذا الفصل هى عن النص الذى يذكره جيورجيو دى سانتلانا فى كتابة « أصول التفكير العلمى » فى الفصل السادس [٤٠] الذى خصصه للحديث عن بارمنيدس وتلميذه زينون، وقد كان الدافع إلى اختيار هذا النص ملاحظتنا أنه أكمل النصوص التى وردت بالقصيده ـ أو ما بقى منها ـ فى المراجع التى أمكن الأعتماد عليها فى إعداد هذه الدراسة ، وان كان هذا لم يمنع من المقارنه بين هذا النص وغيره من النصوص فى كتب أخرى .

(40) Giorgio de Santillana : The Origins of scientific Thought. New York 1961. Chapter six from Page 88 to page 106 .

« عن الطبيعة » (٤١) *

القصيدة :

١ ـ إن الأفراس التى قادتنى ، حملتنى إلى حيث كان يهفو قلبى ، إذ أنها أوقفتنى عند طريق الآلهة الشهير ، ذلك الطريق الذى يرشد الإنسان العارف ، ويقوده آمنا خلال كل الأشياء ، وقد حُملت عبر هذا الطريق ، إذ حملتنى عليه الأفراس الحكيمة ساحبة عربتى والعذراى تدلنى على الطريق ، فبينما يتطاير الشرر من قلب العجلات التى كان يصدر عنها صرير حاد ، فبينما أسرعت بنات الشمس للوصول بى إلى الضوء ، رافعات النقاب عن وجوههن ثم خرجن من موطن الليل (الظلام) .

وهناك تقف بوابات طريقى الليل والنهار ، وقد جهزت بعوارض فى أعلاها ، وبعتبة من الحجر فى أسفلها ، أما البوابات ذاتها ـ والعالية فى الهواء ـ فهى مغلقة بأبواب ضخمة ، تحتفظ آلهة العدالة ـ ذات العقاب الشديد ـ فى يديها بمفاتيحها التى تفتحها وتغلقها .

وقد توسلت إليها العذراى بكلمات عذبه ، وأغرتها بمهارة كى تنزل ـ بلا إبطاء ـ العوارض عن البوابات ـ بعد ذلك وعندما إنفتحت الأبواب كشفت عن فضاء واسع . وخلال هذه البوابات وعبر الطريق الواسع قادت

---

(٤١) يذكر برتراند راسل أن إسم « عن الطبيعة » هو عنوان كثيراً ما كان يطلق على كتابات الفلاسفة الأقدمين ـ أنظر « حكمة الغرب » الجزء الأول مرجع سابق ص ٥٣ .

وكذلك سوف نلاحظ أن هذا الإسم نفسه قد أطلق على القصيدة الفلسفية التى كتبها ـ بعد ذلك ـ إمبيدوقليدس ، وكذلك على كتابات هيرقليطس ـ ويبدو أنه عنوان درج المؤرخون والشراح المتأخرون على إطلاقة على الكتابات الفلسفية التى تتناول العالم أو الوجود .

(*) راجع ملحق النصوص فى نهاية الكتاب .

العذراى ـ أو بنات الشمس ـ الأفراس والعربة. وإستقبلتنى الإلهة بترحاب كريم [٤٢]، وأخذت يدى اليمنى بين راحتيها وخاطبتنى بهذه الكلمات :

مرحبا أيها الشاب النبيل [٤٣]، أنت الذى أتيت إلى مقرى على العربة التى تحملك ، مصحوباً بمرشدات خالدات ، وهى ليست فى صفة سيئة، ولكنه كله عدل وقداسة ذلك الذى دفعك إلى السفر فى هذا الطريق، فهو ـ حقاً ـ طريق يقع بعيداً عن المسار المألوف للإنسان .

فلتواجه هذا الطريق الذى ينبغى أن تتعلم من خلاله كل الأشياء ، كما تعرف أيضاً اللب ـ أو الجوهر ـ الثابت للحقيقة الكاملة ، وتعرف كذلك ظنون البشر الفانين التى تفتقد الثقة الكاملة ، ومع ذلك ينبغى أن تتعلمها أيضاً . وتعرف أن أى تفسير يظهر للأشياء يجب إعتباره صادقاً عندما يتفق مع كل ما نعرفه [٤٤].

طريق الحق

٢ ـ[٤٥] أقبل الأن ، فسوف أخبرك ، وينبغى أن تستمع إلى قولى وتتقبله ، وتحتفظ به دائماً ، أخبرك أن هناك طريقين فقط للمعرفة يمكن التفكير فيهما هما :

(٤٢) هذه الرحلة الى عالم سماوى تذكرنا برحلات أبطال « الأودسة » لهوميروس ، خصوصاً رحلة أوديسيوس Odysseus ـ البطل اليونانى فى حرب طرواده ـ إلى هاديس Hades أو العالم السفلى أو الجحيم ، أو رحلة فايثون Phaethon (إبن الإله أبوللو) فى عربة الشمس .

(٤٣) هذا الإسلوب من الخطاب يتناسب مع آلهة تتحدث إلى أحد البشر الفانيين ، ولا يعنى ـ كما ذكرنا ـ أى إشاره إلى صغر سن المخاطب ـ أى بارمنيدس .

(٤٤) هذا الجزء من القصيده يعتبره كثير من الشراح مجرد مقدمة لها ، ويرى بعظهم أن مايهدف اليه بارمنيدس خلال هذه المقدمة هو توجيه الإنتباه إلى أهمية ما تتضمنه القصيدة من أفكاره ، والتى يضعها ـ فى ما يلى من القصيده ـ على لسان الآلهة .

(٤٥) هذه الأرقام تشير إلى أرقام القصاصات أو الجزازات أو الشذرات لباقية من القصيدة ، وقد جرى العرف على ذكر رقم كل قصاصة فى كثير من الكتب التى تعرض فلسفات اليونان فى الفترة السابقة لسقراط ، وخصوصاً كتابات الفلاسفة الذين لم تصلنا أعمالهم كاملة .

الأول : لأنه موجود ، ولإنه من غير الممكن له ألا يوجد فهو طريق اليقين ، لأنه يتبع من الحق .

أما الثاني : ولإنه غير موجود ، ومن الضرورى ألا يوجد ، فأقول لك أنه طريق لايستطيع أحد بحثه تماماً ، لأنك لاتستطيع أن تعرف اللا وجود ـ فذلك مستحيل ـ ولا أن تنطق به أو تعلنه ...

٣ ـ لأن موضوع الفكر وموضوع الوجود واحد ونفس الشيء [٤٦].

٤ ـ وعليك أن تميز ـ بعقلك ـ وبوضوح وثبات بين البعيد والقريب معاً ، لأن الوجود لاينفصل عن إرتباطه (بالحقيقه) ، كما أنه لايتحلل فى تركيبه فى أى مكان أو يتناقص .

٥ ـ ... إن الأمر هو نفسه بالنسبة لى ، ومن النقطة التى بدأت منها وسوف أعود إلى هذه النقطة نفسها .

٦ ـ ينبغى على المرء القول والتفكير فيما هو موجود (أو أن هناك موجوداً ، لأنه من الممكن بالنسبة له أن يوجد . أما اللاوجود فليس من الممكن وجوده ، وهذا ما أريد منك أن تضعه فى إعتبارك ، لأننى أريد أن أرجعك عن هذا الطريق من البحث بداية وقبل كل شيء ، وكذلك عن ذلك الطريق الذى يضل فيه البشر ، والذين لا يعرفون شيئاً ، وينظرون إلى الأمور بوجهين ، لأن الارتباك والفكر المشوه ـ فى صدورهم ـ يضللهم فيتخبطون صماً وعمياناً ، فالطغام (الذين لا يميزون شيئاً) يبدو فى نظرهم أن نفس الشيء وغيره (ضده)

---

(٤٦) يقدم جثرى ـ تعليقا على هذه الترجمة ـ صياغة أخرى لهذه العبارة نصها : « إن نفس الشيء هو موضوع الفكر وموضوع الوجود » . ، أو أن ما يمكن الحديث عنه والتفكير فيه ينبغى أن يوجد .

Guthrie : A History of Greek Philosophy . Op. cit P. 14 .

موجوداً ، وأنه قد لا يكون موجوداً وكذلك فطريقهم يرتد على نفسه أو يسير فى إتجاهات متضاده [٤٧] .

٧ ـ ٨ ... لأنه لايمكن إطلاقاً إثبات أن اللاوجود موجود ، وعليك أن تبعد فكرك وتصرف نظرك عن هذا الطريق من البحث ، ولا تدع الخبره المعتادة [٤٨] تدفعك نحو هذا الطريق ، فتستخدم عينيك دون تفحص وتدقيق أو أذنيك ولسانك [٤٩] (وهى) مليئة بالضوضاء ولكن عليك أن تحكم ـ بالتفنيد الدقيق باقوالهم .

فنحن نعرف أنه لم يبق إلا طريق واحد ، وفى هذا الطريق كثير من الأدلة على أن الوجود غير مخلوق وغير قابل للفساد ، فهو كل واحد كامل، غير متحرك وبلا نهاية وأنه لم يكن إطلاقاً ولن يكون ، لأنه موجود الآن ككل واحد ومتصل واحد فأى نوع من الأصول له (أى لهذا الوجود) تريد البحث عنه ؟ وكيف ومتى إستمد أصله أو بدايته ؟ .

ولن أسمح لك بالقول أو التفكير أنه قد نشأ من اللاوجود ، لإن هذا الأخير لا يمكن التفكير فيه ، أو الحديث عنه لإنه لا يوجد .

---

(٤٧) حول هذه الفترة هناك ملاحظة طريفة ـ وذكية ـ يوردها جثرى فى تعليقه على كلام بارمنيدس ، وهى تتعلق بالسؤال عما إذا كان هيرقليطس فى ذهن بارمنيدس عندما تحدث عن أولئك « الطغام الذين لا يميزون شيئا hordes with no Judgment » لأن هيرقليطس يقول أنه يعطى أولوية لموضوعات البصر والسمع .

Buthrie : Op. Cit. P. 24 .

وسوف نتعرض لهذا ـ تفصيلاً ـ عند عرضنا لفلسفة بارمنيدس ومقفه من السابقين .

(٤٨) أو « العادة » التى ولدتها الخبرة .

(٤٩) اللسان مقصود به هنا أنه عضو الكلام أكثر منه عضو التذوق ، والمراد من العبارة كلها هو : عدم الثقة بالحواس ولكن الحكم بالعقل .

وإذا كان قد نشأ من اللاوجود ، فما هى الضرورة التى يمكن أن تكون قد جعلته ينشأ متقدماً أو متأخراً ؟ ولذلك فهو (أى الوجود) إما أن يكون قد وجد كله مرةً واحدة ، أو لم يوجد على الاطلاق ـ كما أن قوة الحقيقة أو اليقين بأن شيئا قد نشأ عن اللاوجود بجانبه ، ولذلك فإن العدالة(٥٠) لن تخفف قيودها وتتسامح بأن الوجود يكون أو يفسد Come into being or pass away ولكنها تتمسك به تمسكاً شديداً .

ومن ثم فإن الحكم على هذه الطرق يتوقف على ما يأتى :ـ

ما إذا كان الوجود ممكناً أم لا ، ولذلك ينبغى ـ بالضرورة أن نتجاهل ونستبعد أحد الطريقين باعتباره لا يمكن التفكير فيه أو التعبير عنه ، وأن نأخذ أو نسلك الطريق الآخر ، لأنه طريق الوجود ، ولأنه الطريق الأصيل .

وعلى ذلك ، فما هو مصير الوجود فى المستقبل ؟ وهل تتلاشى صيرورته وتنتهى دون أن يسمع بها أحد ؟ .

وليس الوجود منقسما ، طالما أنه كل متجانس ، ولا يوجد هنا أو هناك ، أو أى شيء يمنعه من التماسك والاتصال . وليس الوجود فى مكان أكثر أو أقل منه فى مكان آخر ، ولكن كل شيء مملوء بالوجود ، ولإنه كل متماسك تماماً .

---

(٥٠) نلاحظ هنا أن بارمنيدس يتكلم عن الإلهة « العدالة » بضمير الغيبة ، الأمر الذى دفع بعض الباحثين إلى القول أن شخصية الالهة فى القصيدة تثير كثيراً من الحيرة والارتباك .

كما جعل بعض الشراح القدامى ـ مثل سمبليقيوس ـ لا يشيرون إلى هذه الشخصية إطلاقاً عند اقتباسهم بعض سطور القصيدة .

وأياً كان الأمر ، فإن لجوء بارمنيدس إلى وضع فلسفته ـ أو بعضها ـ على لسان الإلهة هو ـ كما قلنا من قبل ـ متابعة للتراث الشعرى اليونانى من ناحية ، احساس بأن هذا الأسلوب هو الأنسب لهذه الأفكار الهامة ، من ناحية أخرى .

والأكثر من ذلك ، فإنه ـ أى الوجود ـ ثابت لا يتحرك فى حدوده القوية ، بلا بداية وبلا نهاية . لإن الكون والفساد قد أستبعدا تماماً ، فاليقين الصادق قد تخلص منهما تماما ، ويظل الوجود هو نفسه ، وفى نفس المكان، ثابتاً فى ذاته ، ولذلك فهو ـ أيضاً ـ ثابت فى مكانه ، لإن الضرورة القوية تحفظه فى قيود الحدود التى تحيط به (٥١).

ولان الوجود ليس من المسموح أن يكون غير كامل فهو ليس فى حاجة إلى شىء ، بينما لو كان كذلك (٥٢)فإنه يفتقد الوجود كله .

إنه لشىء واحد أن نفكر وأن يكون هناك موضوع للمفكر ، لإنه لايمكن أن تجد تفكيراً خارج الوجود ، والذى يوجد ما يعبر به عنه بالكلام (الألفاظ) ، لانه لايوجد ـ ولن يوجد ـ أى شىء خارج الوجود ، طالما أن القدر قد قيده كى يظل كلا لا يتحرك (٥٣).

وهناك اسم لكل شىء فى الوجود ، فالأسماء متعددة بقدر مايطلق البشر على الاشياء ، معتقدين فى صدقها ـ مثل الكون والفساد ، والوجود واللاوجود ، والنقلة فى المكان ، وتغير اللون الساطع .

ولكن ، لما كان الحد البعيد للوجود محدد من كل الجوانب ، مثل الكرة كاملة الاستدارة ، فإنه ـ أى الوجود ـ متساوى الأبعاد من المركز فى

---

(٥١) أو « أن الضرورة القوية تمسكه فى قيود السلسلة التى تحيط به من كل جانب » .

(٥٢) أى لو كان فى حاجة إلى شىء خارجه . وواضح من هذه العبارة أن بارمنيدس يستبعد فكرة الخلق تماما .

(٥٣) يلاحظ جثرى Guthrie أن أسلوب هذا الجزء يصل إلى درجة عاليه من السمو الملحمى والدينى ، وأن نهاية هذه الفقرة ـ والفقرة السابقة ـ مأخوذتان تماماً وبشكل مباشر من أسلوب هو يروس عندما يحكى لنا كيف أن القدر قد قيد هكتور Hector ـ قائد جيوش طروادة ـ حتى يقف ساكناً بلا حراك خارج أسوار مدينة طروادة ، ليواجه أخيل Achiles ـ بطل اليونان ـ ويلقى حتفه .

Guthrie : Op. Cit. P. 35 .

كل الإتجاهات ، لإنه من الضرورى ألا يكون أكبر فى إتجاه وأصغر فى إتجاه آخر .

وكذلك فليس هناك لاوجود يمنعه من الوصول إلى شبيهه . وليس من الممكن ــ بالنسبة للوجود أن يكون أكثر هنا وأقل هناك ، لإنه كل منيع تماماً (٥٤) .

وهو متساو فى كل مكان ، ومتناسب بصورة متشابهة متساوية فى حدوده (٥٥) .

طريق الظـن

هنا سوف أتوقف عن حديثى الجدير بالثقة ، والتفكير من الحقيقة ، ومن الآن فصاعداً عليك أن تتعلم أفكار البشر الفانين ، مصغياً إلى الترتيب الخادع وكلماتى (٥٦) .

لإنهم ــ أى البشر ــ قد صمموا على تسمية شكلين من الخطأ أطلاق الاسم على أحدهما ، وقد ضلوا فى هذا العمل ، فقد أطلقوا صفات متعارضة على شىء واحد ، وميزوا بينهما من حيث التضاد (٥٧) ، فمن ناحية هناك نار السماء وهى رفيعة لطبقة متجانسة من كل اتجاه ، ولكنها ليست مثل الآخرى ، فمن ناحية ثانية ــ وعلى الضد منها ــ هناك الليل المظلم الكثيف الثقيل .

(٥٤) أو : ملاء كله .

(٥٥) أو : داخل حدوده .

(٥٦) يمكن فهم الجملة الأخيرة من هذه الفقرة ــ وخصوصاً وصف كلمات الإلهة بالخداع ، فى ضوء أن الحديث الآن سنتناول أوهام البشر وطرقهم فى التفكير والتعبير وهى طرق غير صحيحة وبعيدة عن الحقيقة ، فوصف « خادع » أو « خادعة » ينصرف إلى موضوع فكر البشر وليس إلى الإلهة ذاتها بطبيعة الحال .

(٥٧) هذه الجملة تذكرنا ــ مرة أخرى ــ بهيرقليطس .

وسوف أخبرك عن كل هذا العالم كما يبدو أو يظهر ، حتى لا يسبقك أى إنسان أو يتفوق عليك فى المعرفة [٥٨] .

٩ ـ ولكن الآن، لما كانت كل الأشياء قد سُميت ، النور والليل (الظلام)، وكذلك الأسماء التى تنتمى إلى قوة كل منهما وقد أطلقت على هذه الأشياء وتلك ، فالكل ملىء بالضوء والليل المظلم معاً ، والذى يوازن كل منها الآخر ، طالما أن أى منها ليس له صلة بالآخر .

١٠ ـ وسوف تعرف أصل كل الأشياء المرتفعة (فى السماء) وكل العلامات الموجودة بها ، والسر الفعال وراء الضوء الساطع للشمس المتألقة ، ومن أين نشأت .

وسوف تتعلم ـ كذلك ـ الأفعال المتناثرة للقمر ذى الوجه المستدير وطبيعته، وسوف تعرف أيضاً السماء التى تحيطنا من كل جانب ، ومن أين نشأت ، وكيف جعلتها الضرورة تمسك حدود النجوم ....

١١ ـ .... وكيف نشأت الأرض والشمس والقمر والاثير Aether (السماء) المشتركة بالنسبة للجميع ، والطريق اللبنى [٥٩]، والأوليمبوس[٦٠] البعيد ، والقوة الساطعة المشتعلة للنجوم ....

١٢ ـ .. وقد امتلأت القمم الأضيق بالنار الخالصة ، وتلك التى يدعمها[٦١] الليل ، وتندفع بين هذه أجزاء من النيران ، وتوجد فى

---

(٥٨) هنا نشعر بأن بارمنيدس يدرك مدى تفرده عن الآخرين وتفوقه عليهم .

(٥٩) الطريق اللبنى The milky way هو الإسم الذى يطلق على المجرة التى تضم المجموعة الشمسية .

(٦٠) الأوليمبوس أو الأوليمب هو اسم أعلى جبال اليونان (ارتفاعه حوالى ٩٧٩٤ قدماً) فى مقدونيا بشمال اليونان وقد اشتهر بأنه مقر الآلهة (وفقاً للاساطير اليونانية) ويطلق عليه أيضا ـ فى هذه الأساطير ـ اسم « السماء » أو « العالم العلوى » .
وعلى سفوحه يقع معبد دلفى الشهير فى التاريخ اليونانى .

(٦١) أو يحيط بها الليل .

وسطها الآلهة التى توجه مسار كل الأشياء ، لأنها تتحكم فى كل نسل وتناسل مروع أو هائل ، فهى التى تسوق الأنثى إلى أحضان الذكر ، والذكر إلى الأنثى [٦٢].

١٣ ـ وأول ما أبدعت الآلهة هو إيروس[٦٣] (إله الحب).

١٤ ـ (والقمر) يضىء ليلا بنور يستمده من غيره [٦٤]، دائراً حول الأرض .

١٥ ـ والقمر يتطلع نحو أشعه الشمس .

١٦ ـ ... وكما أن كل فرد يضم مجموعة من الأعضاء والأجزاء المختلفة ، فكذلك العقل يوجد فى كل البشر [٦٥]، وهو نفسه ـ أى العقل ـ الذى يفكر فى الناس جميعا ، وفى كل فرد على ، وهو فضيلة وأثمن كل المكونات لأن الفكر هو أفضلها .

١٧ ـ الصبية على اليمين (من الرحم) والبنات على اليسار .

١٨ ـ عندما يمزج إمرأة ورجل بذور الحب معاً ، فان قوة (البذور) التى تشكل (الجنين) فى العروق من مختلف الدماء يمكن أن تصبغ (أو تكوّن) أجساماً جيده التشكيل إذا حافظت فقط على التناسب لإنه إذا

---

(٦٢) اشارة مبكرة إلى الغريزة الجنسية .

(٦٣) ايروس Eros هو إله الحب فى الأساطير اليونانية ويقابله كيوبيد Cupid فى الأساطير الرومانية .

(٦٤) هذا هو السبق الفلكى الذى أشرنا إليه عند الحديث عن حياته وأعماله .

(٦٥) يمكن أن تذكرنا هذه الجملة بقول ديكارت ـ بعد ذلك ـ « أن العقل هو أعدل الأشياء قسمة » بين الناس .

تصادمت القوى (مع بعضها البعض) أثناء اختلاط البذور ، ولم يشكل وحدةً فى الجسم الذى يكونّه الخليط ، فأنها سوف ترهق تماماً (الجنين) الناشىء خلال (أو نتيجة) البذور المزدوجة للجنسين[٦٦] .

١٩ ـ .... وهكذا ، وفقاً لظنون البشر ، نشأت فعلا هذه الأشياء ، والتى هى موجودة الآن ، وفى وقت ما سوف تنمو ، وبعد ذلك تفسد وتفنى، وقد أطلق الناس على كل شىء إسماً يميزه ويلتصق به .

(٦٦) هذه الفقرة ـ كلها ـ تتناول أموراً تتعلق بعلم الحياة وتدل على نظرة ثاقبة فى هذا المجال .

الفصل الثانى

فلســــــفته

تضمن الفصل السابق كل مانعرفه تقريباً عن حياة بارمنيدس أو معظم ماوصلنا عنها [1]، كما إشتمل على ترجمتنا العربية لنص ما بقى من قصيدته « عن الطبيعة » والتى تتضمن فلسفته ، والتى يبدو أنه لم يكتب سواها فى الفلسفة [2].

وفى هذا الفصل نقدم عرضاً لفلسفته كما نستخلصها من هذه القصيدة التى تتسم بالدقة والتركيز الشديدين ، وإن كان يشوب بعض فقراتها شيء من الغموض ربما كان مرجعه طبيعة الموضوع الذى تدور حوله أفكار القصيده ، أو صعوبة ترجمة معانيها من اللغة اليونانية إلى اللغات التى وصلتنا بها ، وقد يكون هذا الغموض أحد الأسباب التى جعلت - وتجعل - تأويل فلسفة بارمنيدس ليس عملاً سهلاً من ناحية ومسألة خلافيه بين الشراح ومؤرخى الفلسفه من ناحية أخرى [3]، كما أن القصيدة تمثل أقدم نموذج للجدل الفلسفى المتواصل [4].

ولما كان بارمنيدس يمثل نقطة تحول هامة وخطيرة فى الفكر الفلسفى اليونانى السابق لسقراط ، ويقسم هذا الفكر إلى قسمين أو مرحلتين

---

(1) J. Barnes : The Precocratic Philosophers . Op. Cit : P. 155 .

وكذلك براتراندرسل : « حكمة الغرب » الجزء الأول مرجع سابق ص ٥٢ .

وأيضاً وورتر إستيس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد ، القاهرة ١٩٨٤ ص ٤٧ .

(٢) إذ أنه كتب مجموعة من القوانين لمدينتة ، أشرنا إليها فى حديثنا عن حياته ، أما فى الفلسفة فلم يكتب إلا هذه القصيدة وليس كما يذهب الدكتور عبد العظيم أنيس بأن بارمنيدس ترك كتابين فى الفلسفة ، ويبدو أنه إعتبر قسمى القصيدة كتابين مستقلين .

أنظر د. عبد العظيم أنيس : « العلم والحضارة القاهرة بدون تاريخ ص ١٦٦ .

(٣) مقال « بارمنيدس » فى « موسوعة الفلسفة » مرجع سابق .

(٤) المرجع السابق .

متميزتين كما يقول جشرى Guthrie [٥]، بالإضافة الى أنه هو الذى أدخل فى الفكر اليونانى قبل سقراط عدداً من الموضوعات المتيافيزيقية الأصيلة [٦]، بل إن سانتلانا يطلق عليه لقب مخترع الميتافيزيقا [٧]. لهذا كلة ـ وغيره مما سيتضح لنا عند تحليل فلسفته ـ فقد يكون من المفيد أن نلقى نظرة سريعة على أهم الأفكار الفلسفيه التى سبقت بارمنيدس أو عاصرته وكانت سائدة ومسيطرة على الفكر اليونانى فى عهده .

وأول ما يلفت إنتباهنا هو آراء الفلاسفة الطبيعيين من المدرسة الملطية ـ وهم طاليس ، وأبنكسيما ندريس وأمنكسمانس ـ الذين وجهوا إهتمامهم الفلسفى الى العالم المحسوس ، يحاولون التعرف عليه بالملاحظة والاستدلال وصولاً إلى وضع نظرية عن أصل الكون ، تلك النظرية التى ترد كل صور الوجود إلى مبدأ مادى واحد [٨].

فطاليس ـ أول فلاسفة اليونان ـ يرد كل شىء إلى الماء ، فهو أصل كل الظواهر الطبيعية ، فالعالم يتولد منه ويعيش عليه . بالإضافة الى ذلك فإن طاليس كان يرى أن العالم يموج بالحركة ، والنفس منعبثه فى كل أجزاء العالم حتى الجماد ـ كما تبدو لنا فى حركة الحديد نحو المغناطيس ـ فالحركة كليه وشاملة [٩].

أما أنيكسماندريس فقد قال بأن أصل العالم هو مادة أولى لافتتاحية تتجمع فيها كل الأضاد ، وبفضل الحركة تتألف الأجسام الطبيعية ، تلك

---

(5) Guthrie : A History of Greek Philosophy . Op. Cit. Nol I P. 1 .
(6) J. Barnes : The Presocratic Philosophers. Op. Cit. P. 155 .
(6) G. D. Santillana : Op. Cit. P. 214 .

وإن كان هناك من يرى أن هيرقليطس هو صاحب التأمل المتيافيزيقى .

أنظر : د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٤٢٢ .

(٨) د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٤٢٤ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

الأجسام التى تستمر فى دورة إنبثاق وعودة بصورة لامتناهية إلى المادة الأولى .ويأتى أنكسمانس فيقول بالهواء كمادة أولى هى أصل الكون . تتكون منه الأشياء عن طريق التخلخل والتكاثف [١٠].

وما يهمنا هنا ـ ونحن بصدد عرض فلسفة بارمنيدس ـ هو أن المدرسة الملطيه هى مدرسة طبيعية ، إهتمت بأصل العالم المحسوس وقالت ببداية لهذا العالم . بالإضافة الى أننا نلاحظ أن الحركة تشكل مبدأ أساسياً فى فكر هذه المدرسة . فعن طريق الحركة وبها تتكون أو تتحلل الأشياء الطبيعية . ومعنى هذا أن المادة الأولى والحركة هما الأساس الذى قامت عليه الفلسفة الطبيعية وهما المبدأن اللذان سوف نرى أن بارمنيدس يرفضهما تماماً فى فلسفته .

والى جانب هذه الفلسفة الطبيعية كانت هناك آراء هيراقليطس ـ المعاصر لبارمنيدس[١١] ـ القائمة على نظرية ا لتدفق أو الجريان Theory of Flux فكل شىء إلى تغير ، والعالم كله أضاد ، والتغير هو صراع بين هذه الأضاد ، إلى جانب أن هيراقليطس لا ينكر المعرفة التى تقوم على الحواس خاصة حاسة البصر فالتغير المستمر هو جوهر فلسفته ، ذلك التغير الذى تتخذ شكل الصراع المتوازن بين الأضداد [١٢]. وهنا فهو يتفق مع المدرسة الملطية فى القول بأهمية الحركة وضرورتها .

وإلى جانب ماديه المدرسة الملطية ونظرية التدفق المستمر والأضداد عندهيراقليطس كانت هناك أيضاً آراء لمدرسة الفيثاغورية [١٣] التى قالت أن

(١٠) د . عبد المنعم الحفنى : المرجع السابق ص ص ٧٢ ، ٧٣ .
(١١) عاش فى الفترة من ٥٤٠ إلى ٤٧٥ قبل الميلاد تقريبا .
(١٢) د. عبد المنعم الحفنى : المرجع السابق ص ص ٥٠٠ ، ٥٠١ .
(١٣) يرى وورتر ستاس أننا لا نستطيع أن نتحدث عن فلسفة فيثاغورس بل نتحدث عن فلسفة الفيثاغوريين ، وذلك لأننا لا نعرف نصيب فيثاغورس فى هذه الفلسفة وما هو النصيب الذى ساهم فيه أتباعه .
أنظر وورتر ستاس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ٣٩

الأشياء أعداد ، والكون كله أعداد ونغم [١٤]، فالعدد هو أساس العالم أو أنه الخامة التى يصنع منها [١٥]، وقد رسم الفيثاغوريون قائمه من عشرة [١٦] أضداد يتألف منها الكون هى : ١ـ المحدود واللا محدود ، ٢ـ الفردى والزوجى ، ٣ـ الواحد والكثير ، ٤ـ اليمين واليسار ، ٥ـ الذكر والأنثى ، ٦ـ الحركة والسكون ، ٧ـ المستقيم والمنحنى ، ٨ـ النور والظلام ، ٩ـ الخير والشر ، ١٠ـ المربع والمستطيل [١٧].

ورغم ما هو معروف عن الفيثاغوريين من نزعة صوفية دينية فإنهم ـ إلى جانب هذا ـ كانوا يلجأون إلى التجربة ويثقون فى المعرفة التى تأتينا عن طريق الحواس [١٨].

تلك هى أهم الأفكار الفلسفية التى كانت سائدة فى عهد بارمنيدس ولكن ينبغى أن نضيف إليها المناخ العام الذى كان يحتوى كل هذا ويتخلله، وهو المناخ الأسطورى الدينى الشعرى الذى يعود إلى هوميروس وهيزيود [١٩] بصفة خاصة ، والذى تأثر به بارمنيدس ، على الأقل فى إتخاذه الشعر وسيلة للتعبير عن أفكاره ، وكذلك فى لجوءه إلى التصوير الخيالى الأسطورى لرحلته العقلية ، وكذلك فى وضعه أفكاره على لسان الألهة كما لو كانت وحياً يتسم بقدر كبير من المصداقيه والقداسة .

(١٤) د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٣٥٣ .

(١٥) وورتر ستاس : مرجع سابق ص ٤٠ .

(١٦) يرى الفيثاغوريون أن العدد الكامل هو العدد « عشرة » .

د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » ص ٣٥٣ .

(١٧) وورتر ستاس : المرجع السابق ص ٤١ .

(١٨) د، عبد العظيم أنيس : « العلم والحضارة » مرجع سابق ص ١٦١ .

(١٩) هوميروس هو صاحب « الإلياذه » و « الأودسة » ، أما هيزيود فهو مؤلف « أنساب الآلهة » و «الأيام والأعمال » ، والإثنان أشهر شعراء اليونان واللذان حافظا ـ فى أعمالهما ـ على التراث الدينى والأسطورى لليونان القديمة .

وهناك اتفاق عام على أن بارمنيدس كان على علم بالفلسفة الطبيعية التى قال بها فلاسفة ملطية (٢٠)، وقد رأينا أنه تتلمذ على أحد الفيثاغوريين هو أميناس وعاصر هيراقليطس صاحب نظرية التغير المستمر .

وبصفة عامة فإن إرتباط بارمنيدس بالفلسفات السابقة واضح تماماً فى حديثة (٢١) لأننا سوف نجده ـ فى قصيدته ـ يفحص ويناقش بطريقة مناسبة تاريخياً لأسس المنطقية لبرامج الفلاسفة اليونانيين السابقيين (٢٢).

والأن وقد ألقينا نظرة على المناخ الفكرى الذى عاش وسطه بارمنيدس والاتجاهات الفكرية والأدبية والدينية المختلفة التى ألم بها أو تأثر بها ، ممكن أن ننتقل الى عرض تحليلى لفلسفته ، وسوف يكون أساس هذا العرض هو ما بقى لنا من قصيدته .

فلسفته من خلال فقرات القصيدة (٢٣)

١ـ المقدمة :ـ

تبدأ القصيدة بمقدمة مجازية طويلة قد يكون تفسير أغلبها ليس له أهمية كبيرة ، ومع ذلك فإن السطور الأربعة الأخيرة منها فى حاجة إلى تعليق لأنها ـ كما يقول بارنز ـ تقدم لنا واحدة من أغرب صفات عمل بارمنيدس (٢٤).

---

(٢٠) مقال « بارمنيدس » فى موسوعة الفلسفة . مرجع سابق .

(٢١) المرجع السابق .

(22) J. Barnes : The Presocratic Philosophers. Op. cit. P. 163 .

(٢٣) تناول القصيدة فقرة فقرة يتيح مجالاً أوسع لعرض وتحليل فلسفة بارمنيدس والتعليق عليها .

(24) Ibid : P. 163 .

فالمقدمة ـ كما هو واضح تماماً ـ بعد أن تصف الرحلة السماوية تقدم لنا الخطاب الذى توجهة إلى بارمنيدس آلهة العدالة والتى تقوده خلال رحلته الفكرية وتصف ـ له ولنا ـ فلسفته ، وفى نهاية خطابة فى المقدمة تقول :

« ... وينبغى أن تعرف ... كل الأشياء »

« كما تعرف أيضاً اللب الثابت للحقيقة الكاملة »

« وتعرف كذلك ظنون البشر الفانيين التى تفتقد الثقة الكاملة »(٢٥)

« ومع ذلك ينبغى أن تتعلمها أيضاً »

فالإلهة ـ خلال هذه السطور تبين لنا أنها سوف تتحدث عن شيئين هما : الحقيقة والأفكار السائدة بين الناس (٢٦) والتى لا تتضمن ما يستحق أن نثق فيه أو نطمئن إليه .

ومع ذلك يمكن القول أن وصف الرحلة الذى يسبق هذه الكلمات يمهد لهذا ويشير إليه إشارات مجازيه غاية فى الإيحاء والشفافيه ، فبنات الشمس هن اللائى يقدن العربة وفى هذا اشارة إلى أن المرشدات من أصل نورانى ثم يقدن العربه من موطن الليل ـ حيث الظنون والأوهام وآراء العامة (الفانيين) ـ للوصول الى الضوء ـ حيث الحقيقة التى ينبغى البحث عنها والتمسك بها ، ولا يكتفين بهذا بل يكشفن النقاب عن وجوههن دلالة على مزيد من الوضوح والجلاء .

وبذلك فمقدمات الرحلة تؤكد أنها رحلة ترمز إلى التقدم من الجهل نحو المعرفة على مستوى بطولى ، أو حتى على مستوى كونى ، فهذه الصورة الشعريه الملحمية تشير بوضوح إلى السياق البطولى (٢٧)، كما أن

(٢٥) أو الأفكار التى لا تستحق أن نثق بها أو نركن إليها .

(26) Ibid : P. 156 .

(٢٧) مقال « بارمنيدس » فى موسوعة الفلسفة بإشراف إيدواردز .

موقع الرحلة يذكرنا بالمناطق السحرية التى رسمتها هوميروس فى «الأودسة» حيث فى أحد الأماكن يهبط الفجر فوراً على الليل (٢٨).

وقد يكون هذا هو الذى دفع كورنفورد Cornford فى كتابه «أفلاطون وبارمنيدس» ـ مقارناً بين هيراقليطس وبارمنيدس ـ دفعه إلى القول : « إن هيراقليطس هو نبى اللوغوس Logos الذى يمكن التعبير عنه فقط عن طريق تناقضات ظاهريه Seeming ، أما بارمنيدس فهو نبى المنطق Logic الذى لا يتحمل أى أثر للتناقض » (٢٩).

وهنا يجب ملاحظة أن كلا الفيلسوفين يصفهما كورنفورد بوصف «نبى» ذلك الوصف الذى قد يبدو من الغريب إطلاقه على منطقىّ ، ومع ذلك فمن الواضح أن بارمنيدس كان متفقا مع هيراقليطس فى اللجوء إلى سلطة خارجيه ـ وحياً أو رؤية ـ لتدعيم تعاليمة (٣٠).

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه المقدمة قد تشير إلى أن بارمنيدس كان محظوظاً من بين البشر ـ أو هكذا يصور نفسه ، فقد حُمل وحده إلى السماء حيث الآلهة ، تقوده بنات الشمس فى رحلة تنقلة من الليل إلى النهار ، أو من ظلام (الجهل) إلى نور (المعرفة) . ولا ننسى كذلك الدلالة الخصبة العميقة للحواجز الهائلة (أو الأبواب المغلقة) بين النور والظلام ، والبوابة التى تمسك آلهة الحق بمفاتيحها حتى لا يمر أحد دون إذن منها ، أى ما لم يتفق مروره مع الحق والرضا الإلهى (٣١).

---

(٢٨) المرجع السابق .

(29) From Guthrie's " A History of Greek Philosophy " VolI Op. Cit P. 6.

(30) Ibid : P. 6 .

(31) Ibid : P. 9 .

ولكن ، لا شك أن هذا الإقرار أو الموافقة الإلاهية لا تعطى لأى فرد بل هى من حق الذى يحاول إستخدام عقلة ، ويجهد نفسه للبحث عن الحقيقه ومحاولة الوصول إليه ، ولذلك فإن الإلهة تؤكد حق بارمنيدس فى أن يكون فى رحابها وترحب به ترحيباً حاراً ، آخذه بيده بين راحتيها ، وتعده أن تعلمه « كل الأشياء » سواءً الحقيقة أو ما يعتقده ـ خطأ ـ البشر الفانون .

وما نقرأه فى هذه المقدمه يبدو شبيهاً برحلة روحية ، يجد ديلز Diels أمثالها عند كهنة وسحرة سيبيريا ، وقد عزز هذا الشبة المعلومات الحديثة عن هؤلاء الكهنه ، فهم يستطيعون أيضاً أن يتخيلوا أرواحهم فى رحلات صوفيه روحية ، أحياناً فى المساء حيث يكتسبون معرفة فوق إنسانية لأنتاج لغيرهم من البشر (٣٢) .

فى هذا التقليد الدينى الغامض اختار بارمنيدس أن يضع ـ أو يصوغ ـ المنطق الصارم الذى يشغل قلب ومعظم قصيدته (٣٣) ، فقد كان ـ كما نعرف ـ مواطناً بجنوب إيطاليا حيث الموطن المناسب للديانة الخفية المليئة بالأسرار ، كما كان ـ تقريباً ـ فيثاغورياً فى بعض مراحل حياتة .

ومع ذلك فلا يشك المرء أن هذه المقدمة تصف تجربة فريده(٣٤) فرغم أن البوابات والطرق المؤدية إلى الليل والنهار قد إستمدها بارمنيدس من تراث هوميروس وهيزيود معاً ـ أى دمج بينهما ـ فإن الرحلة ـ بالنسبة له ـ وعبر هذه الطرق تمثل تقدماً من الجهل إلى المعرفة ، أو الوصول إلى الحقيقة التى تنتظره على الجانب الآخر (٣٥) .

---

(32) Gtlhrie . Op. Cit . P. 11 .
(33) Ibid . P . 11 .
(34) Ibid . P . 12 .
(35) Ibid . P . 12 .

كما أن تعبير « الطريق » هو صورة شعرية كانت واسعة الانتشار حين ذاك ، ولكنها بالنسبة لبارمنيدس ـ الذى يحتفظ بها طوال القصيده ـ تمثل « طريق البحث » أو السعى إلى المعرفة (٣٦)ولذلك فهو كما يقول باورا Bowra : « يستخدم أفكاراً وصوراً معينة كانت مألوفة فى عصره ولكنه يستخدمها لغرض جديد تماماً وخصوصاً أنه حصر تطبيقها فى مجالة الخاص وهو البحث عن المعرفة » (٣٧).

فبارمنيدس يضع فلسفته على لسان الإلهة ، خلال مقدمة تحتوى على عناصر مأخوذة من الشعر الدينى الأسبق زمنياً ، وفى بعض الأحيان يمكن تتبع بعض هذه العناصر التراثية وإرجاعها إلى أصولها السحرية أو الكهنوتية . ولكن ينبغى الا نستنتج من هذا أن بارمنيدس كان شخصياً غير متزن من الناحية النفسيه ، تلقى دعوة إلى الحياة الدينية . وبهذا الخصوص يقول باورا : « أن بارمنيدس يكتب قصيدته ليس كمجرد مفكر منطقى ، ولكن كشخص له تجربة شديه الخصوصية تشبه ـ إلى حد ما ـ تجربة أولئك الذين توحدوا بالآلهة ، فبارمنيدس قد إعتبر البحث عن الحقيقه شيئاً يشبه تماماً خبرة الصوفيين (٣٨)، وقد كتب عن هذه التجربة بالرموز التى إستمدها من الدين لإنه شعر أن ضده التجربة ـ هى ذاتها ـ نشاط دينى .

---

(36) Ibid . P. 12 .

(37) Ibid . P. 12 .

(٣٨) وقد يكون هذا هو الذى جعل برتراند رسل يصفه بالصوفيه ، وإن كان هناك من يرى خطأ هذا لإن باقى القصيدة يؤكد أن بارمنيدس يجادل ويقدم الأدلة على النتائج التى يتوصل إليها، بل إن حديث الإلهة إليه ـ خلال بعض أجزاء القصيدة ـ يؤكد ضرورة إستخدام العقل لتقدير وتقييم الكلمات التى توجهها إليه .

أنظر B . Russell : Mystieism and logic. Op. Cit P. 15 .

وكذلك مقال « بارمنيدس » فى موسوعة الفلسفة باشراف Edwards .

وفى نفس الوقت فإن هذه المقدمة لا ينبغى تفسيرها فقط بالرجوع إلى أصولها الأسطوريه أو الشعرية ، لإن بارمنيدس ـ ببساطة ـ يتكلم هنا بطريقة مجازيه ، ومن الطبيعى أن هذا المجاز قد يقوم على أشياءاً أو أسس تشبه إلى حد كبير التجربة الصوفيه ، ولكن ـ مع ذلك ـ ينبغى أن نضع فى إعتبارنا أنها مجرد صورة مجاذية تتطلب منا النفاذ إلى دلالاتها العقلية والفلسفية فى ذهن الفيلسوف ، وذلك أكثر من الوقوف فقط عند صورها البلاغية أو الجمالية .

وعلاوة على ذلك فإن بارمنيدس ـ فى هذه المقدمة ـ لا يقدم لنا تسجيلاً أو وصفاً أدبياً لمغامرة روجية ، ولكنه فقط يلبس بحثه عن الحقيقة رداءاً مجازية [٣٩] وذلك كما يقول دودز Dodds فى كتابه « اليونان واللامعقول » « The Greek and The Irrational » .

ويقول هيرمان فرانكل Hermarn Frankel ـ محاولاً إزالة هذا الغموض حول الأسلوب الأسطورى الإستعارى للقصيدة ـ « إن بارمنيدس فيلسوف، وفى نص فلسفى يميل المرء إلى افتراض أن الموضوع يتحدث عن نفسه مستقلاً عن اللغه ، فاللغه شيء إيضافى إلى حد ما ، ومع ذلك فكثيراً ما تنشأ بعض الأشكال البسيطة من سوء الفهم » [٤٠] وعلينا ـ لكى نتجنب سوء الفهم هذا ـ أن نقرأ العمل مراعين طبيعة لغة العصر الذى كتب فيه ، لإنه بالنسبة للعصور القديمة كانت الكلمة والفكر ، أو الحديث وموضوعة هما نفس الشيء ، وهذا صحيح ـ بمعنى خاص ـ بالنسبة لبارمنيدس [٤١] .

---

(39) Guthrie : Op . Cit . P. 13 .

(40) Ibid : P. 13 fm., 3 .

(41) Ibid : P. 13 .

ويمكننا فهم العلاقة بين محتوى المقدمة ـ بل والقصيدة كلها ـ وبين إسلوب صياغتها الذى إختارة بارمنيدس ، نفهم هذا فى ضوء ما يعقل فى ذهن الفيلسوف نفسه من توتر بين ما هو موروث ومازال نمطاً مشروعاً للفكر وبين حماسه العقلى الثورى الخاص [٤٢].

فالمقدمة فى ضوء هذا التحليل تمهد بحق للموضوع المحورى الذى سوف يعرضه بارمنيدس ، وهو البحث العقلى الصرف والصارم فى الوجود ، وبالمعنى الميتافيزيقى الدقيق [٤٣]، ومحاولة الوصول الى حقيقة يطمئن إليها العقل الخالص بشأن هذا الوجود ، وذلك بعد أن تفهمنا ـ إلى حد ما ـ الدوافع التى جعلت بارمنيدس يلبس هذا كله رداءاً مجازياً أسطورياً ذا صبغة دينية . بل نؤكد أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد رداء أو إطار خارجى ، صحيح أن له بعض الدلات الموضوعية التى أشرنا إليها ، والتى نتصور أنها قد خدمت الهدف الذى يسعى إليه بارمنيدس ، ولذلك نرى أنه من المغالاة القول بأن بارمنيدس كان صوفيا أو يمكن أن يتصف بهذه الصفة ، وسوف يتضح هذا جلياً فى الصفحات القادمة .

٢ ـ طـريق الحـق :ـ

فى بداية الجـزء رقم «٢» [٤٤]، وقبل أن تقوده الإلهة إلى طريق الحق، تنبه بارمنيدس إلى طبيعة الطرق المختلفة التى تواجه الفيلسوف المبدئى، وتقدم له دليلاً على أن طريق الحق هو الطريق الوحيد الذى يمكن السير

(٤٢) تقول شورى إشارة لما أحدثه فكر بارمنيدس من تغيير شامل وحاسم فى مسار الفكر الفلسفى اليونانى والذى سوف يتضح فى الأجزاء التالية من القصيدة .

(٤٣) وهذا ما يفسر أو يبرر قول دياتتيلانا أن بارمنيدس هو « أبو الميتافيزيقا » وبهذه المناسبة تتذكر تعريف أرسطو للميتافيزيقا أو « الفلسفة الأولى » بأنها دراسة الوجود بما هو وجود Being qua being .

(٤٤) أنظر الترجمة الكاملة التى أوردناها للقصيدة فى الفصل السابق .

فيه، بل تؤكد أنه هو الذى ينبغى اتباعه إذ لا يوجد طريق آخر يوصل إلى مكان ما أو نتيجة نطمئن إليها ، وهنا توصية الألهه قائلة : « ويجب أن تذيع هذه القصة بعد أن تسمعها » ، والحق أن هذه الجملة ذات دلالة على قدر كبير من الأهمية لأنها تشير إلى دور الفيلسوف فى نشر ما يعتقده حقاً لأرشاد الآخرين [٤٥].

وهى تحدد - فى هذا الجزء طريقان هما: طريق اليقين (فالحق يتبعه) لأنه موجود أو كائن ، ومن غير الممكن إلا يوجد ، أما الطريق الآخر فهو الذى لا يستطيعه أحد عبوره لأنه غير موجود ولا يمكن أن يوجد .

وفى الجزء التالى «٣» يوحد بارمنيدس بين موضوع الفكر وموضوع الوجود فعند قوله أن شيء موجود أو كائن لا شك كان يضع فى ذهنه أن ما يمكن الحديث عنه والتفكير فيه لا بد أن يوجد ، طالما أنه يوحد - بوضوح تام - بينهما تماماً [٤٦]، فااللاوجود يستحيل أن يكون موضوعاً للتفكير ولا يمكن الحديث عنه [٤٧]. ثم يؤكد بارمنيدس (بدقة حاسمة) أنه بمجرد أن يقول المرء أن شيئاً موجود أو كائن ، فأنه يمتنع عليه فوراً القول أن هذا الشيء كان أو سوف يكون ، وكذلك يحرّم عليه أن يضيف إليه أصلاً (أو بداية) أو تحللاً فى الزمان ، أو أى تغير أو حركة مهما كان شكلها. ولكن هذا ما كان يفعله تماماً - أو يقول به - الفلاسفة الطبيعيون. فقد أفترضوا أن العالم لم يكن موجوداً دائماً فى حالته الكونية الراهنة ، وحاولوا - بنظريات أو فروض مختلفة - ان يتمدوا هدا العالم من - أو يرجعه إلى مادة واحده أو مواد متعددة ، كما أكدوا أن هذه الأصول تتغير أو تتحرك بطرق متباينة . فقد تصبح أكثر حرارة أو أكثر برودة ، أكثر رطوبة أو

(45) Barnes : Op. Cit. P. 157 .
(46) Guthrie : Op. Cit. P. 15 .

(٤٧) فى الجزء رقم ٨ من القصيدة .

جفافاً ، أكثر كثافة أو تحليلاً ، وذلك حتى يصل العالم إلى حالته الراهنة(٤٨) .

ويمكن النظر إلى مفترق الطرق ـ كما يسميه بارنز (٤٩) ـ والذى يشير إليه حديث الألهة لبارمنيدس فى البداية ، يمكن النظر إليه بأعتباره نوعاً من التكثيف لنقطة البداية التى انطلق منها بارمنيدس فى مواجهة الفلسفات السائدة ـ كالفلسفة الطبيعية ، الفلسفة الفيثاغورية وفلسفة التغير عند هيراقليطس ـ كما أنها نقطة البداية فى تحديد مساره الفكرى الجديد والفريد ، فالعالم كما يبدو لنا ، أو كما تصوره لنا الانطباعات الحسية ، هو عالم التغير والحركة ، فاالأشياء تظهر وتنقضى ، ولا شىء دائم ، كما أن الشىء لايظل كما هو دائماً بل ينتابه التغير والتحول بل والفساد ، فقد يكون موجوداً فى آن وغير موجود فى آن آخر .

وهذا ما يقف عنده العامة ويقنعون به ، كما يحدثنا بارمنيدس فى الجزء رقم «٦» من القصيدة ، كما يصفهم بأنهم « يتخبطون صماً وعمياناً ، فيتصورون أن نفس الشىء وضده قد يتواجدان (٥٠)» ويصف طريقهم أو منهجهم بأنه يوصلهم إلى نتائج متضاربة .

ومن ثم يمكن اعتبار تفكير بارمنيدس هو جهد مخلص للوصول إلى ماهو دائم وسط التغير ، وماهو ثابت وسط النقلة وحركة الأشياء (٥١)، وهو

(48) Guthrie : Op. Cit. P. 16 .

(49) Barnes : The presocratic philosophers op. Cit. P. 157 .

(٥٠) يبدو واضحاً أن بارمنيدس ـ فى هذه العبارة العنيفة ـ كان يعنى هيراقليطس الذى قال بصراَع الأضداد . ويذهب د. أبوريان إلى مذهب بارمنيدس يعتبر ـ فى جملته ـ رداً على آراء هيراقليطس ، فهو ـ أى بارمنيدس ـ ينفى ما يثبته هيراقليطس ، ويثبت ما ينفيه .
أنظر د. محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى (الجزء الأول) من طاليس إلى أفلاطون . دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٥ ، ص ٨٩ .

(٥١) وولترستيس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » ـ مرجع سابق ص ص ٤٧ ، ٤٨ .

ـ فى جوهرة ـ جهد للوصول إلى المطلق الذى يطمئن إليه العقل رافضاً كل ما هو نسبى .

ويتحقق لبارمنيدس ـ نتيجة لهذا الجهد ـ الوصول إلى الإساس الأول والجوهرى فى فلسفته ، وهو أن المطلق هو الوجود ، فالوجود بينما هو كذلك هو الموجود الحقيقى والجدير بهذا الاسم ، أما اللاوجود فهو غير حقيقى بل هو ليس شيئاً على الأطلاق .

وبارمنيدس يوحد بين هذا اللاوجود ـ المتوهم ـ وبين الصيرورة وبين عالم التغير أو الأشياء المتغيرة ، أى العالم المعروف لنا عن طريق الحواس ، وعلى ذلك فإن عالم الحس ـ فى نظره ـ غير حقيقى ، وهمى أو مجرد مظهر ، بل أنه لا وجود والوجود وحده هو الحقيقى (٥٢) .

والفكر لا يختلف عن الوجود ، لأنه ليس إلا فكر الوجود ، والأدراك الوحيد الصادق هو إدراك العقل ، فهو الذى يمكننا من التعرف على الوجود غير المتغير فى كل شىء ، أما الحواس التى ندرك عن طريقها ظواهر الكون والفساد والتغير ، هذه الحواس هى مصدر الخطأ (٥٣) .

وهنا نشعر أننا أمام اتجاه جديد فى الفلسفة ، يختلف تماماً عن فلسفة الطبيعة وأصل الكون ، فهو اتجاه نحو فلسفة ميتافيزيقية بمعنى الدقيق ولأول مرة . إذ أن الميتافيزيقا أو الفلسفة الأولى ـ كما يعرفها أرسطو ـ هى «دراسة الوجود بينما هو وجود أو بما هو كذلك» (٥٤) .

---

(٥٢) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٥٣) د . محمد على أبو ريان : «تاريخ الفكر الفلسفى» الجزء الأول ، مرجع سابق . ص ٩٠ .

(54) Barnes : Op. Cit. P. 176 .

فالفيلسوف الميتافيزيقى ـ بمعنى الأرسطى ـ يحاول أن يكتشف ويوضح ويحلل الصفات التى ينبغى أن تتعلق بكل شىء موجود بما هو كذلك ، وهذه الفكرة الأرسطية عن الميتافيزيقا هى الفكرة السائدة والمقبولة فى تاريخ الفكر الفلسفى وحتى الآن .

وعلى ذلك فإن الميتافيزيقى الأول والكامل والحقيقى كان هو بارمنيدس [٥٥]، والميتافيزيقا المنهجيه الأولى كانت هى الفلسفة الايلية على يد بارمنيدس وتلاميذه .

وقد وصلنا وصفان ـ كلاهما كامل إلى حد كبير ـ للفلسفة الميتافيزيقية الايلية : **الوصف الأول** هو ما نجده فى الجزء رقم «٨» من قصيدة بارمنيدس ويرى سمبليقيوس Simplicius ـ الذى حفظ لنا ما بقى من القصيدة ـ أن هذا الجزء يحتوى كل ميتافيزيقا بارمنيدس [٥٦]. **والوصف الثانى** يشغل معظم ـ أو كل ـ ما وصلنا من أعمال ميليسوس Melissus ، ووصفان وأن أختلفا فى بعض التفصيلات فأنهما يتفقان تماماً فى الاتجاه الفكرى الأساسى [٥٨].

ومما يؤكد تفرد منهج بارمنيدس هو طريقته الاستنباطية التى يصفها أوديموس [٥٩] Eudemus قائلاً . « كان لا يقبل شيئاً أو يوافق عليه ما لم يكن ضرورياً ، بينما كان سابقه يصلون إلى تأكيدات دون أى برهان» [٦٠].

---

(55) Barnes : Op. Cit. P. 176 .

(56) Ibid : P. 176 .

(٥٧) هو تلميذ بارمنيدس وأحد فلاسفة المدرسة الإيلية ـ مثل زينون ـ لا تختلف فلسفتة كثيراً عن أستاذه ، وقد عرف فى العالم الإسلامى بأسم « مالسوس » .
أنظر : د. عبد المنعم الحفنى « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٤٤٧ .

(58) Barnes : Op. Cit. P. 176 .

(٥٩) تلميذ أرسطو ، وأحد كبار المشائين بعد ثاوفورسطس ، ولد فى رودس وعاش بها فى القرن الثالث ق . م ، ويعتبر من أكثر تلاميذ أرسطو أحتراماً وأخلاصاً لأستاذه .
أنظر : د. حسن حنفى : مقال « أوديموس بمعجم » أعلام الفكر الانسانى « مرجع سابق ص ٧٢٧ .

(60) Barnes : Op. Cit. P. 177 .

وقد وصف بارمنيدس بأنه مؤسس المنطق ، وذلك أستناداً إلى ما قدمه لنا في هذا الجزء ـ رقم ٨ ـ من قصيدته ، إذ نجد فيها ، استنباطاً أكثر تعقيداً وأكثر وعياً مما نجده عند أي فيلسوف سابق أو معاصر له (٦١).

وكما نعرف فإن المنطق الشكلي يقوم ـ كما يعرفه أرسطو ـ على مبادىء ثلاثة هي : مبدأ الهوية ، ومبدأ عدم التناقض ، ومبدأ الثالث المرفوع والحقيقة أن استدلال بارمنيدس ـ في هذا الجزء من القصيدة ـ قد لعب دوراً في تأسيس المنطق الشكلي (٦٢).

وما فعله بارمنيدس عندما قابل بين المعقول والمحسوس ، وبين الوجود واللاوجود جعل الاستاذ ري Rey في كتابه « شباب العلم اليوناني » يقول: « ان بارمنيدس يعتبر أصلاً لكل فلسفة تختص بالعقل والجدل والمنطق » ، بل يرى أن فلسفة بارمنيدس النافذة كانت حجر الأساس في المناهج العلمية حتى اليوم ، لأن المنهج العلمي يستند إلى مشاهدة الظواهر المحسوسة ، ولكنه لا يقف عندها ولا يعتمد عليها وحدها ، ولكنه يرتفع إلى معقولات كلية ، أي إلى قوانين ثابتة وصيغ عامة هي أعلى من المحسوس وأسمى منه (٦٣).

كما نجد سانتيلانا يشير إلى ظهور قوة جديدة للفكر ـ خلال فلسفة بارمنيدس ـ هي قوة التضمن المنطقي الخالص Logical Implication بأضافة إلى اشتمال هذه الفلسفة على قانون الهوية وعدم التناقض . ويذكر سانتيلانا ـ بهذه المناسبة ـ أنه عن طريق أفلاطون أو بفضله قد تم تكريم بارمنيدس في مجال الفلسفة الخالصة بإعتباره الميتافيزيقي الأولى (٦٤).

---

(61) Ibid : P. 177 .

(٦٢) د. عبد العظيم أنيس : « العلم والحضارة » مرجع سابق ص ١٦٦ .

(٦٣) د . أحمد فؤاد الأهواني : « الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(64) G. D. Santillana : The origin of scientific Theught Op. cit. PP. 94 - 95 .

فبارمنيدس ـ حسبما يرى كثيرون ـ هو أول فيلسوف ميتافيزيقى وجد فى بلاد اليونان ، خصوصاً إذا وضعنا فى اعتبارنا أنه قد قصر بحثه وفلسفته كلها على فكرة الوجود بينما هو كذلك فقط ، ونظر إلى الوجود بأعتباره شيئاً مجرداً وليس هو الطبيعة ذاتها [٦٥].

أما وقد عرفنا أن المطلق فى فلسفة بارمنيدس هو الوجود بما هو كذلك ، وأن نقيضه أو اللاوجود غير موجود ، بل لا يمكن التفكير فيه ، لأن موضوع الفكر لابد أن يوجد ، أو كما يقول بارمنيدس نفسه : « أنه لاشيء واحد أن تفكر وأن يكون هناك موضوع للفكر ، لأنك لا يمكن أن تجد تفكيراً خارج الوجود ... لأنه لا يوجد ولن يوجد أى شيء خارج الوجود » [٦٦].

فننظر الآن ونتسأل : ما هى طبيعة هذا الوجود الذى تستند إليه كل فلسفة بارمنيدس ؟ وما هى الصفات الجوهرية التى يتسم بها هذا الوجود ؟

وخير من يحدثنا عن هذا كله هو بارمنيدس نفسه فهو يقول : « إن الوجود غير مخلوق ، وغير قابل للفساد ، فهو كل واحد كامل ، غير متحرك وبلا نهاية » [٦٧]. وفى فقرة أخرى تحذره الآلهة قائلة : « لن أسمح لك بالقول أو التفكير أنه ـ أى الوجود ـ قد نشأ عن اللاوجود ، لأن هذا الأخير لايمكن التفكير فيه أو الحديث عنه ... وإذ كان الوجود قد نشأ عن اللاوجود ، فما هى الضرورة التى جعلته ينشأ متقدماً أو متأخراً » [٦٨] ؟

---

(٦٥) د . عبد الرحمن بدوى : « ربيع الفكر اليونانى » ص ١٢٠ .

(٦٦) أنظر الجزء رقم ٨ من القصيدة فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

(٦٧) نفس الجزء من القصيدة .

(٦٨) أى فى وقت ما وليس فى وقت آخر .

فالمبدأ الأول ـ في نظر بارمنيدس [٦٩] ـ والحقيقة الواحدة والوحيدة هى الوجود الخالص ، غير مختلط باللاوجود ، وهو خال تماماً من كل صيرورة أو تحول . فطابع الوجود ـ كما نستخلصه من كلام بارمنيدس نفسه ـ يتصف بمجموعة من السلوب ، فهو خال من التغير ولم يوجد من العدم [٧٠]، ولا يستنفد على الإطلاق ، ومن ثم فليس له بداية أو نهاية ، ولا يوجد بالنسبة له ماض ولا حاضر ولا مستقبل ، لإنه بالأحرى خالد بلا زمان [٧١].

وطالما أن الوجود موجود وخالد قديم فهو لا يتغير ، لأن التغير يعنى أنه كان شيئاً ولم يعد هذا الشيء، أو أنه صار شيئاً لم يكنه من قبل [٧٢].

والوجود غير متحرك ولا يتغير، لإن الحركة والتغير شكلان من أشكال الصيرورة وكل صيرورة مستبعدة من الوجود [٧٣]، فالوجود يتماثل مع نفسه، فهو يملك وجوده كله فى ذاته ولا يعتمد على أى شيء أخر من أجل وجودة وحقيقتة [٧٤].

---

(٦٩) كان المبدأ الأول ماءاً أو هواءاً أو مادة لا محدودة غير مُتعينة عند الفلاسفة الطبيعيين ، وكان « هو العدد » عند الفيثاغوريين .

(٧٠) لأن العدم « لا وجود » ، وهو تصور لا معنى له فى نظر بارمنيدس ولا ينبغى الكلام عنه بل لا ينبغى مجرد التفكير فيه . ومن ثم فالقول أن الوجود قد جاء من العدم أو اللاوجود هو أمر مستحيل أو كلام بلا معنى .

(٧١) وولتر إستيس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ٤٨ .

(٧٢) د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٨٦ .

(٧٣) يتضح هنا مدى التناقض الشديد بين بارمنيدس الذى استبعد كل أشكال الحركة وبين هيراقليطس الذى بنى فلسفته على فكرة التغير المستمر وصراع الأضداد .

(٧٤) وولتر إستيس : مرجع سابق ص ٤٨ .

والوجود لا ينقسم، لان القسمة تحتاج إلى ما يؤدى إليها أو يقوم بها، والقول بأن «الوجود موجود أو كائن» تعنى أنه ملىء فى كل مكان بالمادة، إلى جانب أنه ـ كما يقول بارمنيدس ـ ليس فى مكان أكثر أو أقل منه فى مكان آخر ولكن كل شيء مملوء بالوجود (٧٥)، أى لابد أن يوجد من المادة فى مكان ما قدر ما يوجد منها فى مكان أخر، وإلا توجب علينا أن نقول عن مكان ذى كثافة أقل أنه ليس موجوداً بمعنى ما، وهذا محال (٧٦)، أو أن هذا المكان فارغ وهنا نقع فى تناقض لا يقبله بارمنيدس، لإنه نبهنا إلى أن الوجود ملىء بالمادة فى كل مكان وبصورة متساويه متناسقة، بالإضافة إلى أن الفراغ لا وجود يرفض بارمنيدس مجرد الحديث عنه أو التفكير فيه.

ولما كان الوجود حاضراً وكائناً فى كل مكان، ومن كل الإتجاهات، فإننا نصل إلى التصور النهائى للوجود فى نظر بارمنيدس، فهو يمثل كرة مليئة بالمادة مصمته متناهية ـ كاملة الإستدارة ـ ومتجانسه، أو كما يقول بارمنيدس: «إنه كرة متساويه الأبعاد من المركز فى كل الاتجاهات، لأنه من الضرورى ألا تكون أكبر فى إتجاه وأصغر فى إتجاه آخر» (٧٧).

ومن قراءة القصيدة وخصوصاً الجزء رقم ٨، وكذلك من التحليل السابق لأفكار بارمنيدس يبدو لنا ـ كما يقول جثرى ـ أنه لا يتردد فى تكرار نفسه أو أفكاره، كما لو كان ـ فى الحقيقة ـ يراعى حيرة وصعوبة أفكاره، وقد كان حكيماً فى هذا (٧٨).

---

(٧٥) أنظر الجزء رقم ٨ من القصيدة فى الفصل السابق.

(٧٦) برتراند رسل: «حكمة الغرب» مرجع سابق ص ٥٤.

(٧٧) الفقرة الأخيرة من الجزء رقم ٨ من القصيدة.

(78) Guthrie : A History of Greak philosophy. VolI op. Cit P. 44 .

ان المشكلة الأساسية والحاسمة ـ والمحيرة فى نفس الوقت ـ فى هذه الفرة الأخيرة « من طريق الحق » تكمن فى كيفيه تفسير الاشاره إلى الشكل الكروى ، وكذلك اللغة المكانية فى التعبير « متساوية الأبعاد من المركز » وبإختصار كيف كان بارمنيدس يدرك وجودة الواحد ؟ وهل كان يدركه بإعتباره أمراً تصورياً خالصاً أم بإعتبار أنه يشغل مكاناً (٧٩) ؟

وهناك بعض الأمــور التى لاشك فــيــهــا ، وهى أن هذا الوجــود البارمنيدى يدرك عن طريق الاستبصار العقلى وليس عن طريق الحواس ، فهو ثابت ولا زمانى ، كما أنه لا يتغير فى الكيفيه ولا يتحرك فى المكان ، وهو وجود فريد متجانس وغير قابل للإنقسام . وهذا كله يوضح تماماً أنه ليس جسماً يملأ المكان بكتلته الفيزيقية كما تفعل الأرض مثلاً (٨٠) .

وقد استنتج بعض الشراح أن الصـور التى ساقـهـا بارمنيـدس قـد إستخدمت بطريقة مجاذيه لكى تشير وتؤكد تماثل وتجانس الوجود الواحد ، بالإضافة إلى أن الأشارة إلى « السلسلة التى تحيط به من كل جانب » أو تقيده هى تفسير مباشر لسبب بقاء الوجود دائماً فى نفس المكان ، أى ثباته ووحدته .

فالوجود فى نظر بارمنيدس يشبه الكرة ببساطه لإن تجانسه وتوافقه يشبه التوازن الكامل للكرة حول مركزها (٨١) .

أو أنه ـ فى نظر آخـرين ـ مـثل المكان الاقليـدى لإنه : **أولاً** : لـه إتصاليته التى تمنع وجود أى نجوات ، **وثانياً** متجانس فى كل أنحاءه . **وثالثاً** : موحد الخواص أو هو نفسه فى كل الأتجاهات (٨٢) .

(79) Ibid . P. 45 .
(80) Ibid . P. 45 .
(81) Ibid . P. 45 .
(82) G . D. Santillana . Cit. P. 95 .

بالإضافة إلى أن « فكرة الكرة » هي فكرة هيلينيه نموذجيه قديمة مليئة بالنتائج الخطيرة بالنسبة للعلم ، فهذه الفكرة تعني أن هناك كمالاً وتفرداً تتميز بهما « الإستدارة » ربما في ذلك الشكل الكروى فى الأجسام الصلبة والدورانية فى السطوح أو الحركة - فمما أدهش اليونان وأثر فى تفكيرهم هو الطريقة التى يدور بها - حول نفسه - خط واحد أو سطح مكوناً هذا الشكل الدائرى أو الكروى [٨٣] ، فهيراقليطس يقول : « إن البداية والنهاية متشابهان » ، كما نجد أن أفلاطون يقول أن الكون كروى الشكل لذا الكرة هى « أكثر الأشكال كمالاً وإتساقاً » ، وأرسطو أيضاً فى إطلاقه وصف « كامل » وعلى الكرة يقصد أنه لا يوجد شيء خارجها[٨٤] بل إن لغة أفلاطون - فى كثير من المواضع خلال كتاباته - تجعل من الواضح أنه فى تدريسه الكمال والتمام والتوافق والإكتفاء الذاتى للكرة كان - بشكل مباشر - تحت تأثير بارمنيدس [٨٥] .

ومع ذلك يمكن أن نتساءل : ماذا كان فى ذهن بارمنيدس عندما لجأ إلى هذا التصور الكروى لوجوده ؟

قد يكون من المفيد - رداً على هذا السؤال - أن نتذكر معرفته الأكيدة والثابته بالفكر الفيثاغورى ، ونعرف أيضاً أن الكون - فى نظر الفيثاغوريين هو عبارة عن كرة تضم كرات أخرى فى داخلها ، كلها تدور حول نفسها وتضم الأجسام المرئية والملموسة . ولا يستبعد أن بارمنيدس قد إستعار هذه الفكرة من الفيثاغوريين ، بالإضافة إلى كونها - كما ذكرنا - فكرة شائعة وقديمة فى الفكر اليونانى القديم .

---

(83) Guthrie : Op. Cit. P. 47 .

(84) Ibid : P. 47 .

(85) Ibid : P. 48 .

وهذه مسألة سنتعرض لها فى الفصل القادم عند الحديث عن اصدار فلسفة بارمنيدس وتأثيرة .

ولكننا نجد هذه الفكرة عند بارمنيدس قد تجردت من تجسيداتها أو مظاهرها الفيزيقية، وأصبحت تتصف بالواحدية والإتصاليه والثبات والكمال.

وهنا تصل إلى نهايه حديث بارمنيدس عن تصوره للوجود الواحد الثابت ، إذ ستخبره الألهه ـ فى بدايه حديثها عن طريق الظن ـ أنها قد أفضت له بكل ما يمكن أن يقال عما هو موجود بحق .

٣ ـ طريق الظن :[٨٦]

وطريق الخطأ ، أو ما يؤدى إلى الخطأ فى نظر بارمنيدس هو أن البشر الفانيين ـ اعتمادا على معطيات الحواس وليس على القول وحده ـ يطلقون على الشىء الواحد وصفاً ـ أو إسماً ـ ونقيض هذا الوصف ، وتخيلوا نتيجة لهذا أنهم أمام شيئين إثنين « فميزوا بينهما ، وقد ضلوا فى هذا الطريق»[٨٧] .

ويرى سمبليتوس أن خطأ الفانين ـ كما يشير إليه بارمنيدس ـ يكمن فى أنهم عجزوا عن إدراك أن من غير الممكن ـ أو من المستحيل ـ وضع أحد الضدّين النيزليتيين دون الآخر [٨٨] . وهذا هو الفرق بين موضوعات ـ أو مدركات ـ العقل وبين موضوعات ـ أو مدركات ـ الحواس ، فوفقا للعقل يمكن قبول أحد الضدين فقط ، أما بالنسبة للحواس فمن غير الممكن قبول أحدهما بدون الآخر [٨٩] .

---

(٨٦) أو الطريق الخطأ لما يبدو للبشر الفانيين ، ويرى كورنفورد أن عبارة بارمنيدس ـ أو هذه التسمية ـ تشير إلى ما يبدو أنه حقيقى وفقاً للادراك الحس .

Cuthrie : Op. Cit. P. 50 .

(٨٧) بداية « طريق الظن » من القصيدة .

(88) Guthrie : Op. Cit. P. 50 . fm.,

(89) Ibid : P. 50 .

ومن الجلى هنا أن فكرة الجمع بين الضدين أو النقيضين هى فكرة هراقليطية خالصة ، الأمر الذى يرجح أن بارمنيدس كان يعنيه - فى المقام الأول - بهذه العبارة .

هذا العالم كما يبدو للحواس ، وفى صورته أو تصوره الخاطئة وفقاً لفلسفة بارمنيدس ، ينبغى أن أيضا على الفيلسوف الحق أن يعرفه ، ويعرف الطريق الخاطىء الذى إلى ادراكه بهذه الصورة الخاطئة ، حتى يستطيع أن يتبع الطريق الصحيح ويتميز عن غيره من البشر ، ولذلك تقول له الإلهة : «وسوف أخبرك عن كل هذا العالم كما يبدو أو يظهر (٩٠)،حتى لايسبقك أى إنسان أو يتفوق عليك فى المعرفة » (٩١).

فالآلهة قد وصفت الحقيقة - فى الجزء رقم (٨) السابق عرضه - تلك الحقيقة لايستطيع أن يدركها ويوجه انتباهه إليها إلا ذو العقل المتحرر ، وهى حقيقاً تختلف - تماماً - عن العالم الذى يعيشه كل منا - بما فى ذلك بارمنيدس نفسه - والذى لايستطيع أحد أن يتجاهله إذا كان له أن يستمر فيه .

ولكن ، من الآن فصاعداً ، فإن بارمنيدس - الإنسان الفريد المحظوظ الذى رحل عبر بوابات طرق الليل والنهار ، أو الظلمة والنور ، من الآن فصاعداً - وعن طريق بيان طريق الظن وما يؤدى إليه - سوف يتعرف على عالمنا هذا - أى عالم الظواهر - وصورته الخادعة بتأثير الحواس (٩٢).

---

(٩٠) عبارة « كما يبدو » تشير إلى المعطيات الحسية ، والدور الذى تلعبه الحواس فى حجبَ الحقيقة من الانسان .

(٩١) آخر الفقرة الثانية من « طريق الظن » .

(٩٢) يمكن القول أن بارمنيدس كان حاسماً وشديداً فى رفضه الاعتماد على معطيات الحواس عند تأسيس فلسفته عن « الوجود الواحد الثابت » وكذلك ينبغى أن نذكر أن هراقليطس - نقيضه الفكرى - كان أيضا يقول بخداع الحواس وعدم الأطمئنان إليها تماماً ، -

ومع ذلك فمن الممكن فهم العالم وتفسيره إما بطريقة خاطئة أو بطريقة صائبة ، لأن المظاهر لا تقدم لنا أضطراباً وتشويهاً كاملاً ، حقاً إن حياتنا اليومية تعتمد على انتظام ورتابة هذه الظواهر ، والفحص السطحى لما يَحيط بنا يؤكد هذا . فهذه الظواهر توحى ـ أو يشير إلى ـ عملية ترتيب وتنميط فى هذا العالم ، وقد كان بارمنيدس عليه أن يدرك مبادىء هذا العالم ، الأمر الذى فهمه الخاص للعالم أفضل من فهم أى مفكر آخر(٩٣) . ويصبح من الممكن ـ فى ضوء فلسفة بارمنيدس ـ مراجعة الفلسفات السابقة عن أصل الوجود (٩٤) .

وينبغى أن نلاحظ ـ هنا ـ أنه عند بارمنيدس ، وعندما يحدثنا عن طريق الظن بعد حديثه عن حقيقة الوجود فى نظره ـ تنشأ لأول مرة تفرقة هامة وأساسية فى الفلسفة ، هى التفرقة بين الحس والعقل ، بين معطيات الحواس واستدلال العقل الخالص ، فيقول بارمنيدس أن عالم الزيف والمظهر، عالم الصيرورة ، أو عالم اللاوجود ـ كما يسميه ، هو العالم الذى يتمثل لنا أو ندركه عن طريق الحواس ، أما الوجود الحق والحقيقى فلا نعرفه إلا عن طريق العقل وبالفكر وحده ، لذلك فإن الحواس عند بارمنيدس هى مصدر كل وهم وخطأ ، ولا تكن الحقيقة إلا فى العقل .

وهذا أمر له أهمية كبرى ، لإن القول بأن « الحقيقة تكمن فى العقل وليس فى عالم الحواس » هو الموقف الأساسى فى كل الفلسفات المثالية (٩٥) .

ـ ومع ذلك فإن كلاً من الفيلسوفين قد توصل إلى نتيجة تتناقض كلية مع ما توصل إليه الآخر ـ ، فقد رأى بارمنيدس أن الحواس تخدعنا ببيان أن الوجود متعدد ومتغير بينما هو ـ فى نظره العقلى ـ ثابت واحد ، أما هيراقليطس فقد رأى أن الحواس تظهر لنا العالم ثابتاً بينما هو ـ وفقاً لما توصل إليه فى فلسفتة ـ فى تغير مستمر ، « فأنت لاتنزل النهر مرتين » .

(93) Guthrie : Op. Cit. P. 51 .

(94) Ibid : P. 51 .

(٩٥) وولتر ستس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد مرجع سابق : ص ٤٩ .

فبارمنيدس يقابل بين عالم الحس وبين العالم العقلى ، ويجعل المظاهر الحسية أثراً لحقيقة معقولة لا تدرك إلا بالعقل [٩٦]، ويرى بعض الباحثين أن بارمنيدس ـ فى هذا الجزء من قصيدته والذى يتحدث فى أوله عن طريق الظن ـ لم يكن هدفه مجرد نقد الفلسفات الزائفة السابقة عليه والمعاصرة له ، بل إنه ـ بالاضافة إلى ذلك ـ قد يكون غرضه تقديم نظرية كونية خاصة به لتفسير أصل ذلك العالم الخاص بالمظهر والوهم والذى أنكره فى القسم الأول ، عندما أكد على الوجود الواحد الثابت ، وإن كان هذا مجرد فرض ، وعلى أية حال ، فإن صورة عالم الحس ـ والتى يعرضها لنا بارمنيدس هنا ـ هى أنه مؤلف من ضدين هما الحار والبارد ، أو النور والظلمة [٩٧].

ومع ذلك فإن بارمنيدس ـ فى حديثه عن طريق الظن أو الطريق الخاطىء ـ يؤكد على الفرق الشديد بين الإنسان الذى وهب الحقيقة الموحاة إليه من السماء أو الآلهة [٩٨]، وبين حشود أو جماهير الفانين من البشر الذين « لا يعرفون شيئاً ، وينظرون إلى الأمور بوجهين » [٩٩] فهم يخلطون بين الوجود وبين اللاوجود ، ويخدعون أنهم بأن « الأشياء الموجودة غير موجودة » .

أما بالنسبة له ـ ووفقاً لما يقوله فى « طريق الظن » ـ فمن المشروع الانتقال من الحقيقة إلى دراسة عالم الظواهر ، طالما أن التفرقة بين العالمين

---

(٩٦) د . أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

وسوف نناقش فى الفصل القادم التفسيرات المختلفة والمتضاربة حول مثالية أو مادية بارمنيدس .

(٩٧) وولتر ستس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ٤٩ .

(٩٨) تأكيداً على سمو هذه المعرفة وصدقها المطلق ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك احساس بارمنيدس بتفرد هذه المعرفة وجدتها بالنسبة لما كان سائدا فى عصره .

(٩٩) الجزء رقم (٦) من القصيدة .

- عالم الحقيقة وعالم الحس - حاضرة فى ذهنه (١٠٠)، إذ أنه بمجرد أن كشفت له الإلهة عن الحقيقه - وقد فصلت ذلك بوضوح وتأكيد كاملين - فإن مثل هذه الدراسة لعالم الظواهر لن تضلله فيما يتعلق بمكانة هذا العالم الأخير (١٠١). فهى تخصه بمعرفة معينة لأن دافعها إلى ذلك هو ألا يتفوق عليه أحد من البشر أو يسبقه ، فوضعه للظواهر - أو عالم الحس - سوف يتميز على أوصاف الآخرين (١١٢). والهدف - وراء ذلك - هو أن يكون بارمنيدس مسلحاً فى مواجهة البشر الفانين الذين لا يحسنون استخدام عقولهم مثله ، وليس هناك غرض لتقديم تصور انطولوجى جيدا - كما ذهب بعض المفكرين ، إذ يرى أوين Owen ولونج Long وغيرهم أن الهدف وراء تقديم وصف لعالم الظواهر هنا هو. هدف جدلى بحت (١٠٣).

أما التساؤل عن الغرض الذى يهدف إليه بارمنيدس من وصفه لعالم الظواهر - فى هذا الجزء من القصيدة - طالما أن هذا العالم غير حقيقى وفقا لفلسفته و هذا التساؤل هو وضع للأمور بصورة ليبدو أنها لم تبدو له ، فهذا سؤال لم يخطر على بال بارمنيدس . فمن الواضح أن البشر ينبغى أن يتوافقوا مع الظواهر التى يعيشون وسطها ووفقاً لها ، بالاضافة إلى أن بارمنيدس ليس إلهاً ، رغم المميزات السماوية والمنح الإلهيه التى أضفاها على نفسه فى مقدمة قصيدته (١٠٤)، وهذا يجب ألا يقلل من قيمة منطقة (١٠٥).

والحقيقة أن بارمنيدس كان صاحب أفكار سريدة يمكن اعتبارها البدايات الحقيقة أو الارهاصات الأولى للمنطق ، وقد رأينما كيف أطلق عليه كورنفورد Cornford وصف « نبى المنطق » ، إذ أننا نلاحظ أن

(100) Guthrie : Op. Cit . P. 52 .
(101) Ibid : P. 52 .
(102) Ibid : P. 52 .
(103) Ibid : P. 52 .
(104) Ibid : P. 53 .
(105) Guthrie : Op. Cit. P. 53 .

أسلوبه في عرض أفكاره خلال القصيدة ـ وطريقته في التقدم من المقدمات إلى ما يترتب عليها من نتائج لا تسمح بأى تناقض بل إن الانتقال من المقدمات إلى النتائج في سياق المعرض البارنيدى هو انتقال ضرورى ، الأمر الذى جعل جورجيودى سانتيلانا يقول أن عظمة بارمنيدس يكمن في أنه أول من قال بالتضمن المنطقى (١٠٦).

وبالإضافة إلى ذلك فقد وُصفت القصيدة ، أنها من وحى « نشوى المنطق الخالص » وباعتبارها المدخل الفلسفى . الأول بالمعنى الحديث للكلمة (١٠٧).

وحديث بارمنيدس أن الوجود موجود ، ليس تحصيل حاصل كما يبدو أو يزعم البعض ، ولكنه تقرير حاسم لمبدأ الهوية أو الذاتية (١٠٨)، ويعبر عن هذا المبدأ بفعل الكينونة ، وأستناداً إلى تقرير الهوية يمكن الحديث عن الموجود وحمل الصفات عليه ، وقد كان بارمنيدس رائداً في استناده على هذا الأساس المنطقى الراسخ في مواجهة هيراقليطس . الذى قال بالصيرورة وأن الشيء غير موجود ، ولا يمكن أن يوجد ، وأنك لا تنزل النهر مرتين، فالشيء المحسوس دائم التغير ، يكون ويفسد ، ويظهر ويختفى.. ولكن العقل يريد شيئاً ثابتاً يطمئن إليه وينطلق منه ولذلك ـ وعن طريق مبدأ الهوية ودفاعاً عنه في نفس الوقت ـ يستبعد بارمنيدس طريق الحواس أى طريق الظن ، لأن الأشياء فيه لا تكون موجودة ، وسلك طريق الحق واليقين (١٠٩).

---

(106) Giorgio de Santillana , " The origin of scientific Jhrought " . Op. Cit. P. 89.

(107) Ibid : P. 90 .

(١٠٨) ذكرنا أن المنطق الشكلى يقوم على مبادىء ثلاثة هى : مبدأ الذاتية ومبدأ عدم التناقض ومبدأ الثالث المرفوع ، والمعروف لدى المناطقة أن مبدأ الهوية أو الذاتية هو الأساس ، إذ يمكن رد المبدأين الآخرين إليه .

(١٠٩) د. أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ، ص ١٤١ .

وبارمنيدس عندما يؤكد أنه « من المستحيل أن تعرف اللاوجود أو تنطق به ، لأن الفكر والوجود شيء واحد » أدرك الصلة الوثيقة بين التفكير واللغة من ناحية ، والرابطة العضوية بين الفكر وموضوعه من ناحية ثانية ، وهو ذلك قد فطن إلى العلاقة الوثيقة بين المعانى والألفاظ ، لأننا لا نفكر إلا عن طريق اللغة ، وليس المنطق إلا عمل أو نشاط العقل حين يربط بين الألفاظ ليستخرج منها نتائج جديدة ، الأمر الذى جعل برتراند رسل يذهب إلى أن بارمنيدس يريد أثبات الوجود من الألفاظ ، لأنك لا تنطق إلا إذا كان الشيء موجوداً ، ففلسفتة فلسفة « لفظية » ، ويتفق مع رسل الأستاذ رى Rey فى هذه النظرة فيقول عن فلسفة بارمنيدس أنها « فى أساسها نظرية اللفظ » [110].

وانطلاقاً من هذه الصرامة المنطقية فى فلسة بارمنيدس يمكن فهم التفرقة الدقيقة بين عالم الحقيقة أو عالم العقل وبين عالم الوهم أو الظن أى عالم المعطيات الحسية .

مجال الحقيقة يشبه ـ إلى حد ما ـ النموذج الرياضى أو صورة العالم وفقا للفيزيقا الحديثة بعلاقته مع العالم الواقعى [111] . وهذا النموذج أو الصورة هى تصور عقلى خالص ، وعندما نتأمل الحاجة إلى التفرقة بين عالم العقل أو العالم كما يدركه العقل الخالص وبين العالم كما تصوره لنا الحواس ، عند ذلك نتحقق من الانجاز الكبير الذى توصل إليه بارمنيدس فى القرن الخامس قبل الميلاد .

مما سبق يتضح أن فلسفة بارمنيدس تتسم بالعمق والتركيز الشديدين ، إن لم نقل كذلك أن بها قدر كبير من الغموض ، إلى جانب أن بارمنيدس تعرض فى قصيدتة إلى كثير من الأفكار التى تضفى عليه خصوبة وتنوعاً .

---

(١١٠) د . أحمد فؤاد الأهوانى : المرجع السابق ، ص ١٣٩ .

(111) Guthrie : Op. Cit . P. 51 .

وقد أدى هذا كله إلى أختلاف التفسيرات التى قُدمت ـ خلال الأجيال اللاحقة ـ لهذه الفلسفة ، إلى جانب التأثيرات والأصداء القوية التى أحدثتها هذه الفلسفة فى كثير من جماعة بعده من المفكرين ، بالإضافة إلى اسهام أفكارة فى فلسفة العلم والمنهج العلمى ، وهذه كلها موضوعات فى حاجة إلى مزيد من البحث يتطلب منا أن نخصص لها الفصل القادم الذى نتحدث فيه عن التفسيرات المختلفة التى قدمت عن هذه الفلسفة بالإضافة إلى أصدائها وتأثيراتها فى الفكر الفلسفى والعلمى اللاحق.

الفصل الثالث

الأصداء والتفسيرات

تمهيد :

بعد أن قدمنا ـ فى الفصل السابق ـ فلسفة بارمنيدس ورأينا أهم ما تتصف به هو أنها فلسفة « الواحدية والثبات » ، فيهدف فى هذا الفصل إلى عرض أصداء هذه الفلسفة ، وتفسيراتها المختلفة عبر التاريخ الفكر اللاحق له وحتى العصور الحديثة .

ويمكن القول بهذه المناسبة ـ ودون كثير من المبالغة ـ أن بارمنيدس يُعتبر أكثر الفلاسفة السابقين لسقراط تأثيراً فى الفلسفة التى جاءت بعده فهو مؤسس الميتافيزيقا ـ لب الفلسفة وجوهرها ـ الأمر الذى يجعله حياً بأفكاره التى مازالت قائمة حتى اليوم [1] . بل أن نظرة إلى قوائم الكتب والدراسات التى أُلفت عن الفلسفة اليونانية فى الفترة السابقة على سقراط تثبت لنا المكانة الخاصة التى تتمثل فى كثيرة ما كتب عنه .

وفى محاولة لتبسيط تناولنا للعناصر التى خصص لها هذا الفصل ، يحسن أن نقسمه إلى عدة نقاط : تتناول **النقطة الأولى** أصداء هذه الفلسفة من جاءوا بعده . أما **النقط الثانية** فتتعرض للتفسيرات والأنتقادات المختلفة التى قُدمت لفهم فلسفة بارمنيدس وتقيمها ، ومدى التنوع ـ بل والتعارض ـ فى هذه التفسيرات والمدى الذى يمكن أن تصل إليه محاولة التوفيق بين هذه التفسيرات المتعددة .

النقطة الأخيرة ـ من هذا الفصل ـ فسوف تخصص لتأثير هذه الفلسفة فى الفكر الانسانى بصفة عامة وفى التفكير والمنهج العلميين بصفة خاصة وينبغى التنبيه إلى ما بين هذه النقاط الثلاث من تداخل تفرضه طبيعة الموضوع ووحدته ، فالأصداء التى ترددت لهذه الفلسفة قد تتضمن

---

(١) د. أحمد فؤاد الأهوانى « الفلسفة اليونانية » ـ مرجع سابق ص ١٤٤ .

بعض التفسيرات والانتقادات ، كما أن الحديث عن الانتقادات التى وُجهت إلى بارمنيدس قد يكون فيها ـ بالضرورة ـ بعض التلميحات إلى صداها القوى وحضورها الفعال والمؤثر فى فكر أولئك الذين انتقدوها ، لأن الموضوعات التى أدخلها بارمنيدس ـ لأول مرة ـ فى الفكر الفلسفى ـ هى موضوعات على قدر كبير من الأهمية وتستحق الكثير من التقدير ، والأكثر من ذلك فقد كان من الصعب بالنسبة لأى مفكر أن يتجاهل هذه الموضوعات أو الصيغ التى سكبها بارمنيدس داخلها . كما أن النتائج التى توصل إليها كانت ذات قابلية وجاذبية غريبة إذ أن كثيراً من الفلاسفة البارزين ـ بعده ـ قد تبنوا اتجاهاته الفكرية وقد ساروا فى هذه الاتجاهات ـ أساساً ـ تدفعهم نفس الأسباب التى دفعته هو إلى ذلك [٢].

بالإضافة إلى أن الحديث عن أثر هذه الأفكار فى التفكير المنطقى والعلمى قد يتطلب استعادة لبعض منطلقاته الفلسفية والمسارات المنهجية التى سار فيها وفقاً لهذه المنطلقات .

ومن ثم يمكن النظر إلى هذا التقسيم ـ الذى لجأنا إليه فى هذا الفصل ـ على أنه نوع من التحليل الذى تفرضه الغاية التى تهدف إليها ، وهى الوصول إلى مزيد من الايضاح الذى يتيح مجالاً أوسع للمناقشة .

أولاً : أصداء فلسفة بارمنيدس فى الفكر اللاحق .

قد يكون القول أن جوهر فلسفة بارمنيدس هو « الواحدية والثبات » فيه الكثير من الاجحاف لبارمنيدس ، إلى جانب أن هذا القول يغفل خاصيه أساسية فى فكره وهى أنه أول من طرح جانباً فكرة البحث عن أصل الأشياء ونظر إلى الوجود بما هو كذلك بعيداً عن عالم الظواهر ومعطيات الحس ،

---

(2) Barnes : op. cit . P. 172 .

الأمر الذى جعل قصيدته تُعتبر فى نظر الكثير من مؤرخى الفلسفة وشراحها ـ النص الفلسفى الأول بالمعنى الحديث للكلمة (٣) .

ومن ثم فقد كان بارمنيدس ـ كما يقول أرسطو ـ هو أول من تحدث عن « الواحد » وفقاً للعقل (٤)، فالوجود عنده ـ حقيقة ـ « واحد وثابت » ولكنه بالاضافة إلى هذا يكاد يكون مقولة منطقية حرفه خالصة (٥) وهذا ما سنجده واضحاً فى فلسفة تلميذيه مليسوس وزينون .

لقد كان مليسوس وزينون هما التلميذان المخلصان لبارمنيدس فى المدرسة الأولية ، وقد حاول الأول فى كتابه الوحيد « فى الطبيعة أو ما يوجد» تأييد فلسفة بارمنيدس والدفاع عنها ضد الطبيعيين القائلين بالكثرة والتغير (٦)، ففلسفته تكاد تكون صورة مطابقة لفلسفة استاذه وأن أختلفت فى بعض التفاصيل ، حتى أن بعض الشراح قد أعتبروا كتابه المشار اليه مجرد نسخة من قصيدة بارمنيدس ولكنها ذات مستوى أدنى كثيراً ، مما أدى بارسطو إلى القول « أننا ينبغى أن تتصور أن بارمنيدس قد تحدث بطريقة أفضل مما تحدث مليسوس » (٧) .

أما زينون ـ وهو من أشهر فلاسفة اليونان القدماء ـ فقد وضع أيضاً كتاباً واحداً يدافع به عن استاذه ضد الفيثاغوريين (٨) .

وقد قدم مجموعة من الحجج الشهيرة ـ التى استخدم فيها الجدل لأول مرة ـ والتى يحاول فيها أثبات استحالة الحركة (٩)، وهذه الحجج هى

(3) G. D. Santillana . Op. cit. P. 91 .
(4) Ibid : P. 92 .
(5) Ibid : P. 93 .

(٦) د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٤٤٧ .
(7) Barnes : Op. cit . P. 202 .
(٨) د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٢٢٦ .
(٩) المرجع السابق : ص ٢٢٦ .

حيل جدلية ـ بصفة اساسية ـ يقلب فيها المؤلد على معارضيه ـ وبالتالى يعرض فلسفة استاذة بارمنيدس ـ وذلك عن طريق تفنيد الأفتراضات ألتى كانت تبدو واضحة ، ومبيناً تهافت النظريات السائدة [١٠] عن الكثرة والحركه ، وقد وصلتنا هذه الحجج ـ وعددها أربعة ـ عن طريق أرسطو عندما قام بمناقشتها فى كتابة « عن الطبيعة » [١١] وهذه الحجج أو المفارقات ـ كما يصفها أرسطو ـ سببت كثير من الصعوبات أمام كل من حاول حلها أو التخلص منها ، وقد يكون هدف زينون منها هو أفحام خصومة أكثر من أقناعهم [١٢]، وزينون عندما حاول هدم النظرية الفيثاغورية فى الكم المنفصل بهذه المفارقات فانه يكون قد أرسى وعائم نظرية فى الكم المتصل . وهذا بعينه هو ما نحتاج إليه من أجل الدفاع عن نظرية بارمنيدس فى الفلك الكردى المتصل [١٣] وكذلك قوله بالملاء واستبعاد الفراغ .

بعد هذين التلميذين المخلصين للمدرسة الأيلية واستاذهما بارمنيدس نلتقى بامبادوقليس الفيلسوف المتصوف ذى الطابع الدينى ، وقد صاغ امبادوقليس فلسفته فى قصيدتين ، أحداهما « عن طبيعة الأشياء » [١٤] ورغم أنه قال بالعناصر الأربعة أصلاً للكون والأشياء ، فنحن نجد تشابهاً كبيراً بينه وبين بارمنيدس ، الأمر الذى يوصى بتأثير هذا الأخير ، فكثير من الباحثين يرون أن قصيدة أمبادوقليس تناظر قصيدة بارمنيدس وأنه كاتب الشعر محاكاة له ، والنظام الذى تحدث عنه امبادوقليس فى هذه القصيدة

---

(10) G. D. Santillana . Op. cit. P. 102 .

(11) Barnes : Op. cit. P. 261 .

(12) Ibid : P. 261 .

(١٣) برتراندرس : كلمة الغرب ـ مرجع سابق ص ٨٤ .

(١٤) د. عبد المنعم الحفنى : « الموسوعة الفلسفية » مرجع سابق ص ٦٦ .

يوازى ـ غالباً ـ نظام بارمنيدس ، كما أنه عند النظرة الأولى تعزيز وتأكيد لطريق الظن (١٥) . كما أنه من الواضح أن فكرة الكرة الأزلية التى قال بها امبادوقليس تثبت أن فكر بارمنيدس والسمات المميزة لأسلوبه كانت حاضرة فى ذهن امبادوقليس ، وان هذه الفكرة ـ أى فكرة الكرة ـ قصد بها أن تحقق متطلبات الوجود الايلى إلى حد كبير (١٦) .

فالفارق بين بارمنيدس وامبادوقليس يبدو أنه فارق فى المزاج أكثر منه فارقاً عقلياً ، إلى جانب أن كليهما كان متأثراً بالفلسفة الفيثاغورية ولكن الطابع الصوفى الغالب عند امبادوقليس جعله يؤكد أن طريق الحق لا يمكن النطق به (١٧)ـ أو التصريح به ، بينما نجد بارمنيدس ـ بميوله الرياضية ونزعتة المنطقية الحادة ـ يؤكد ضرورة السير فى طريق الحق وعدم النطق إلا به ووفقا له .

وقد لاحظنا ـ خلال عرضنا لفلسفة بارمنيدس أنه هو وهيراقليطس كانا على طرفى نقيض ، فبينما قال هيراقليطس بالتغير المستمر والحركة والمكان الخالى ، وجدنا أن بارمنيدس قد انكر هذا كله وأقام فلسفته على الثبات والوحدة والملاء الكامل ، فكلا الفيلسوفين قد حددا الطريق أمام الفلسفة التالية (١٨)ويمكن اعتبار فلسفة ديموقريطس ـ رغم ما فيها من جدة وأصالة ـ محاولة للتوفيق بين آراء كل من هيراقليطس وبارمنيدس وعندما نصل إلى أفلاطون ـ ومعه أو من خلاله أستاذه سقراط ـ نحس الصدى القوى والتأثير الواضح لفكر بارمنيدس ، فقد كان أفلاطون ـ

---

(15) G. D. Szntillana . Op. cit. P. 108 .
(16) Ibid : P. 108 .
(17) Ibid : P. 110 .

(١٤) د. على سامى النشار وآخرين : « ديموقرايطس : فيلسوف الذرة » الهيئة العامة للتأليف والنشر بالأسكندرية . دون تاريخ . ص ١٧٤ .

حقيقة ـ هو أول من قدر فلسفة بارمنيدس ومدى عمقها وتنوعها تقديراً كاملاً [١٩].

ففى محاورة « بارمنيدس » لأفلاطون نجد أن شخصية سقراط ـ داخل هذه المحاورة ـ مهمتها هى تقديم نظريات المثل الأفلاطونية للتخلص من مفارقات وحجج زينون ، وكذلك فى مواجهة الصعوبة التى يمثلها فكر بارمنيدس [٢٠] ومن الواضح أن مؤسس المدرسة الايلية ـ بارمنيدس ـ ينبغى أن يسيطر ويهيمن على الحوار فى هذه « المحاورة » ، تماماً مثلما نجد غريباً من ايلية يجب أن يتولى قيادة الحوار وتوجيهه فى محاورة «السوفسطائى» وفى محاورة « السياسى » .

وعلينا ـ قبل الاستطراد فى تتبع أصداء فلسفة بارمنيدس عند أفلاطون ـ علينا أن نتذكر أنه بعد بارمنيدس أصبح هناك مساران على الفلسفة أن تتبعها وهما : المسار الأول كان البحث عن الحقيقة فى أساس خلف العناصر ، أساس يمكن أن تُلحق به أو تُسند إليه الصفات المختلفة . وهذا المسار هو الذى أتبعه أرسطو [٢١] ـ والذى سوف نتناوله فيما بعد ـ أما المسار الثانى فهو البحث عن الحقيقة فى خواص ثابتة غير متغيرة وهو ما نجده فى المثل الأفلاطونية ، والتى يُعتبر العالم الواقعى ـ أو طريق الظن عند بارمنيدس ـ مجرد اسقاطات مؤقتة لهذه المثل الثابتة الدائمة [٢٢] .

فبارمنيدس كان أول من آثار المشكلة التى أتجهت نظرية المثل ـ عند أفلاطون ـ إلى حلها ، ففى قصيدة بارمنيدس تبدو المشكلة ـ فى جوهرها ـ

---

(19) Barnes : Op. cit. P. 155 .
(20) F. M. Cornford : " Plato ' Theary Kmowledge " London 1979 . P. 6 .

(٢١) مقال « أرسطو » فى موسوعة الفلسفة بإشراف ادوار دز ـ المجلد الأول .
(٢٢) المرجع السابق .

فى الوضع الذى ينشأ عندما يتميز عالم الحقيقة عن عالم الظن أو المظهر ، وعالم المظاهر هذا يمكن وصفه ـ بشكل ما ـ بأنه خطأ وغير حقيقى [٢٣] .

وهذا الجانب المتعلق بطبيعة عالم الظواهر والحس سوف يتعرض له أفلاطون فى محاورة « السوفسطانى » .

وبالأضافة إلى أن بارمنيدس قد حدد ـ بدقة شديدة كما لاحظنا ـ التفرقة بين الحواس التى تكشف لنا عن المظاهر ، وبين التفكير العقلى الصارم الذى يدرك العالم الحقيقى [٢٤]، وهذا هو بالضبط ما نجده فى محاورة « تياتيتوس » عندما يحاول أفلاطون صياغة وفحص إدعاء الحواس أنها موصلة إلى المعرفة أو أداة إليها [٢٥] .

ففى هذه المحاورة يبرهن لنا أفلاطون ـ عن طريق البحث فى عالم الظواهر ـ أننا إذا لم نضع فى إعتبارنا عالم الوجود الحق ـ أى المثل عنده ـ فإننا لا نستطيع أن نستخلص المعرفة الحقة من الخبرات الحسية .

ونظرية المثل ـ كما يضعها أفلاطون فى محاورة « فيدون » ـ قُصد بها أن تعنى بكلا جانبى المشكلة التى تركها بارمنيدس ، وهذان الجانبان هما : رفضه لعالم الظواهر وعدم لجوئه إلى الحواس أو رفضه الثقة بها .

فالمثل المعقولة الخالدة ـ عند أفلاطون ـ توفر موضوعات التفكير العقلى ، أما الوجود المؤقت أو « الصيرورة » بالنسبة للأشياء المحسوسة فى عالم الظواهر فيجب أن نجد أساسها فى عالم الوجود والحق ـ أى فى عالم المثل ـ عن طريق نوع من المُشاركة ، ومن ثم فإن الأشياء الحسية بذلك

---

(23) F. M. Cornford : Op. cit. P. 7.
(24) Ibid : P. 7
(25) Ibid : p. 7 .

تذوّد بما يمكن أن نسميه نصف الحقيقة الغامضه ، وذلك بدلاً من أن تترك دون تدعيم أو سند على الإطلاق كما هو الحال فى نظرية بارمنيدس الحاسمة ، والتى لا تتيح أى فرصة للمصالحة ـ أو التوفيق ـ بين الوجود الحق (الواحد والثابت) وبين عالم الظن أو عالم الظواهر الحسية .

ونلمس تأثير وصدى بارمنيدس فى قول أفلاطون أن الكون كروى الشكل ، لأن الكرة هى « أكثر الأشكال كمالاً واستقلالاً » . وأنه لا شيء يخرج منها أو يدخل فيها من أى مكان خارجها [٢٦]. وسوف نلاحظ أن أرسطو ـ أيضاً ـ عندما يستخدم مصطلح « كامل » لوصف الكرة يعرف هذه الأخيرة « بأنها لا يوجد شيء خارجها » .

وأفلاطون وأرسطو يعتقدان بعدم وجود أى شيء مهما كان خارج الكون الكروى ، وهذا الاعتقاد يستبعد المكان الخالى (أى الفراغ أو اللاوجود بلغة بارمنيدس) [٢٧]. وكذلك ستبعد المادة .

وفى محاورة « ثياتيتوس » لأفلاطون نجد سقراط بعد أن يشير إلى اتباع هيراقليطس القائلين بالتغير المستمر ، نجده يقول :

> « ولكن ، لقد نسيت يا ثيودورس مدرسة أخرى تقول بعكس ذلك ، أى أن الحقيقة والواقع (أى الوجود) واحد ثابت لا يتحرك ، فالوجود هو اسم الكل ... وميليسوس وبارمنيدس ـ فى مواجهه كل هؤلاء القائلين بالتغير ـ يقولان لنا أن كل الأشياء هى « الوحدة » ، والتى تظل ثابتة داخل ذاتها ، وليس هناك مجال فيها للحركة » [٢٨].

---

(26) Guthrie : Op. cit . P. 47 .
(27) Ibid . P. 48 .
(28) Cornford . Op. cit. P. 94 .

فأفلاطون يخصص هذه المحاورة ـ أى « ثياتيتوس » ـ لمناقشة وتفنيد أقوال هيراقليطس بينما يخصص محاورة « السوفسطائى » ـ أو جزءاً كبيراً منها ـ لمناقشة أقوال بارمنيدس والمدرسة الايلية [٢٩] .

وقد لاحظ أرسطو أن نظرية المثل الأفلاطونية لها ثلاثة مصادر هى : تعاليم المدرسة الايلية بزعامة بارمنيدس ، وتعاليم هيراقليطس ، والتعاليم الأخلاقية عند سقراط . فقد أخذ أفلاطون من هيراقليطس فكرة التغير والصيرورة وهى تُمثل عنده عالم الحس ، أما تأثير بارمنيدس فيبدو فى قول أفلاطون بوجود عالم المثل المطلق الخالد الثابت [٣٠] .

وعندما نعود إلى محاورة « ثياتيتوس » نجد سقراط ـ أحد شخصيات المحاورة ـ يقول :

« إن شعوراً من الأحترام العميق يمنعنى من التعامل بروح غير مناسبة مع ميلسوس والآخرين الذين يقولون أن الكون واحد وثابت . ولكن هناك شخصاً واحداً أحترمه أكثر من الجميع وهو بارمنيدس نفسه ، فهو فى نظرى ـ كما يقول هوميروس ـ شخصية مهيبة جديرة بالأحترام ... لقد قابلته عندما كنت ما أزال صغيراً [٣١] بينما كان هو متقدماً فى السن ، وقد أعتقد ـ حيذاك ـ أن هناك نوعاً من العمق فى داخله ، ذلك العمق النبيل إلى حد كبير ، وأخشى أننا قد لا نكون قد فهمنا كلماته [٣٢] ، وأننا ما نزال لا نتبع تماماً الفكر الذى تعبر عنه هذه الكلمات » [٣٣] .

---

(29) Ibid . P. 94 .

(٣٠) وولترستيس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣١) هذه المقالة شرحها أفلاطون بالتفصيل فى محاورة « بارمنيدس » وقد أشرها إليها وإلى دلالتها فى الفصل الأول ص .

(٣٢) هذه العبارة تشير إلى مدى عمق وصعوبة أفكار بارمنيدس .

(33) F. M. Cornfoed : Op. cit . P. 101 .

والجملة الأخيرة من كلام سقراط تدفعنا إلى التساؤل عن مغزى هذا الفكر الذى يقول أن كلمات بارمنيدس ـ خلال لقائة به ـ تعبر عنه .

ويبدو أنها ـ وفيما يتعلق بالفلسفة الأفلاطونية ـ تُشير إلى ما يتضمنه فكر بارمنيدس من تفرقة هامة وحاسمة بين المعرفة العقلية التى توصلنا إلى عالم الحقيقة الصلبة ـ وهى عند أفلاطون المثل ـ وبين المعرفة الحسية التى توصلنا إلى عالم الظن والوهم .

ويبدو ـ كما يذكر د. عبد الرحمن بدوى ـ أن بارمنيدس بهذه التفرقة الدقيقة قد وضع ـ لأول مرة ـ نظرية المعرفة فى وضعها الصحيح(٣٤) . فالمعرفة الثانية ـ أى الحسية ـ فى نظر بارمنيدس ليست جديرة أن تسمى معرفة على الإطلاق لأنها آراء وتصورات شعبية وهمية ، بالأضافة إلى أنها تصور لنا الوجود فى شكل تغير مستمر (٣٥) .

ومرة أخرى نعود إلى أفلاطون فنجده فى محاورة « السوفسطائى » يرسم لنا شخصية الرجل الغريب من إيلية ، وهو شخصية مجردة تمثل بارمنيدس ، لأن بارمنيدس هو الذى وضع المشكلة التى تتعرض لها هذه المحاورة بالنقد (٣٦) . ونعنى بها المشكلة التى تتعلق بكيف يمكن لما يظهر ـ ولكنه غير حقيقى ـ أن يوجد على الأطلاق ؟ .

وطالما أن هذا الغريب يعتنق نظرية المثل والتى لا يتردد أحد فى نسبتها إلى أفلاطون نفسه ، فيبدو أن أفلاطون ـ بهذا التصوير ـ قد زعم أنه الوريث الحقيقى لبارمنيدس .

---

(٣٤) د. عبد الرحمن بدوى : « ربيع الفكر اليونانى » ص ١٢٢ .

(٣٥) المرجع السابق . ص ١٢٢ .

(36) F. M. Cornford , Op. cit . P. 170 .

وفى هذه المحاورة يذكر هذا الغريب من ايليه وموجهاً حديثه تياتيتوس الشـاب : « عندما كنت فى مثل عمرك ـ يا صديقى الشاب ـ كان بارمنيدس العظيم من البداية حتى النهاية يبرهن عكس ذلك [٣٧]، وكان يخبرنا دائما بما يقوله فى قصيدته :

« لن يمكن اثبات ذلك إطلاقاً ، وهو أن اللاوجود موجود ، ولكن يجب أن تبعد ذهنك دائماً ـ أثناء البحث ـ عن هذا الطريق » [٣٨].

ويبدو أن التحدى الأصيل أمام أفلاطون كان ـ وكما وضعه بارمنيدس ـ يتضمن عدة جوانب هى :

١ ـ إذا كان هناك عالم الوجود الحق ـ هو الوجود الواحد الثابت عند بارمنيدس ونفس الوقت هو عالم المثل الحقيقية عند أفلاطون ـ فكيف يمكن أن يكون هناك ـ أيضاً ـ عالم الظواهر أو الظن . وبارمنيدس يؤكد عدم وجود مثل هذا العالم .

وهذا الجانب يصوغة أفلاطون كما يلى : كيف يمكن لأى شىء أن يشارك ـ فى نفس الوقت ـ فى الوجود وفى اللاوجود ؟ أو يؤدى إلى ظواهر دون وجود حقيقى ؟

وفى محاولة ثياتيتوس يعالج أفلاطون هذا الجانب من المشكلة بالقول أن أدراكنا للظواهر أو المحسوسات ـ متميزاً عن الأحكام العقلية التى نصدرها عليها هذا الأدراك صحيح ، ولكن الأشياء الخارجية ليس لها وجود حقيقى وثابت ، ولكنه مع ذلك نوع من الوجود ، فهو مجرد الصيرورة والتحول . ومن ثم فأن المشكلة تظل قائمة وهى المتعلقة بنوع هذا الوجود [٣٩].

---

(٣٧) أى عكس القول بإن الظواهر لها وجود حقيقى .

(38) F. M. Cornford . Op. cit . P.P. 200 - 201 .

(39) Ibid . P. 201 .

٢ ـ الجانب الثانى يتعلق بإمكانية الحديث والتفكير عن شيء رغم أنه غير حقيقى ـ وهذا هو الجانب السيكولوچى من المشكلة ، فبارمنيدس يقول : « أنه نفس الشيء ذلك الذى يمكن أن يوجد وأن يكون موضوعاً للتفكير » ، فالفكر يجب أن يكون له موضوع وهذا الموضوع ينبغى أن يكون حقيقياً ، والكلام يجب أن يعبر عن شيء ، وهذا الشيء ينبغى ـ كذلك ـ أن يكون حقيقياً ، وعلى ذلك المشكلة ـ كما يصورها أفلاطون ـ هى : كيف يمكن الحديث أو التفكير فى شيء غير حقيقى؟

٣ ـ وأخيراً هناك الجانب المتعلق بالأحكام أو القضايا السلبية ، أو العبارات المنفية فعبارة « غير موجود » أو « لا يوجد » عندما تذكر فى جملة تعنى أن ما تتحدث عنه هذه الجملة أو القضية غير موجود . ولكن إذا كان هذا الشيء لا وجود له فإن الجملة « عندئذ » تتحدث عن لا شيء ، وتصبح الألفاظ والأصوات التى تتضمنها العبارة أو القضية لامعنى لها (٤٠).

هذه هى المشكلات التى واجهها أفلاطون نتيجة لفلسفة بارمنيدس وهى المشكلات التى حاول الرد عليها ومناقشتها فى محاورة «السوفسطائى» ـ وهى كما يسميها فى هذه المحاورة كما يلى :

١ ـ مشكلة عالم الحقيقة وعالم الظاهر .

٢ ـ العبارات المثبتة والعبارات المنفية .

٣ ـ الأحاديث والأحكام الخاطئة (٤١).

وقد كان أفلاطون مهتماً أهتماماً خاصاً ـ فى هذه المحاورة ـ بأظهار بعض جوانب النقص فى نظرية بارمنيدس عن الوجود الواحد والثابت ورفضه

(40) Ibid . P. 202 .
(41) Ibid . P. 202 .

التام لعالم الظواهر . ولكن هذه مسألة نؤجل الحديث عنها فى القسم الثانى من هذا الفصل ، وما تحب أن ننهى به الكلام عن أصداء بارمنيدس فى فكر أفلاطون هو الإشارة إلى الأحترام الشديد والغريب الذى يكنه أفلاطون لبارمنيدس ، ذلك التقدير الذى يبين أن أفلاطون كان يعتبر بارمنيدس هو أول من بشر بفلسفته المثالية (٤٢).

أما أرسطو فأننا نجد عنده كثيراً من الأصداء للفلسفة الأيلية وخصوصاً الأفكار الاساسية التى قال بها بارمنيدس ، إلى جانب أن أرسطو كان يدرك مدى خطورة هذه الأفكار وهو كثيراً ما يعترف بقدر بارمنيدس ومكانته وأهمية آرائه ، فأرسطو يقول أن بارمنيدس كان على صواب عندما رأى أن نوعها المبدأ الذى نحتاجه له خواص الخلود والكمال ، وهى مبادىء لا يمكن أن تنتمى إلى المادة ذاتها . وهذا هو السبب فى أن بارمنيدس أصبح هو مخترع الميتافيزيقا (٤٣)، وهو يستحق هذا اللقب ـ بالمفهوم الأرسطى ـ لأنه كان أول من درس أو تأمل الوجود وبما هو كذلك ونحن نعرف أن أكثر ما أشتهر به أرسطو هو منطقه الذى ساد التفكير العقلى قروناً طويلة والذى ما يزال حتى الآن له أهميته مع وجود أشكالاً جديدة من المنطق وطرائق مستحدثه فى الاستدلال .

ونعرف كذلك أن هذا المنطق الأرسطى ـ أو المنطق الصورى كما يسمى فى بعض الأحيان ـ يقوم على ثلاثة مبادىء هى : مبدأ الهوية أو الذاتية ، ومبدأ عدم التناقض الذى يرفض فكرة اجتماع الشىء ونقيضه ، وأخيراً مبدأ الثالث المرفوع (٤٤).

ونعرف ثالثاً أن المبدأين الثانى والثالث يمكن ردهما إلى مبدأ الذاتية ، بمعنى أن هذا المبدأ هو أساس التفكير المنطقى كله عند أرسطو ، وقد رأينا

(42) Ibid . P. 229 .

(43) G. D. Santillane : Op. Cit. P. 214 .

(٤٤) د. عبد العظيم أنيس : « العلم والحضارة » مرجع سابق . ص ١٦٧ .

أن بارمنيدس كان أول فلاسفة اليونان الذى توصل إلى **مبدأ الذاتية** . وهذا هو الذى جعل كثيراً من المؤرخين يذهبون إلى أن بارمنيدس هو مؤسس المنطق ، بل أن كورن فورد يطلق عليه لقب « نبى المنطق » (٤٥). إذ أن أساس المنطق هو الأعتماد على مبادىء عقلية خالصة واستخلاص النتائج التى تترتب ـ بالضرورة ـ عن هذه المبادىء ، وهذا هو ما فعله بارمنيدس فى « طريق الحق » ، على عكس معاصره الكبير هيراقليطس الذى جمع ـ فى الحقيقة ـ بين الأضداد (٤٦).

ولما كنا نتحدث عن المنطق عند أرسطو ، والأرهاصات التى قدمها بارمنيدس فى هذا العلم ، فإن هذا يدفعنا إلى القول أن النظرية الأيلية ـ كما استهلها وصاغها بارمنيدس ـ عن الوجود تجعل الإسناد أو الحمل غير ممكن، لأنها تنظر الى الذاتية والوجود بأعتبارها شيئاً واحداً ، كما أكدت أن الوجود being يستبعد التنوع أو التغير لدرجة أن الشىء لا يمكن أن يكون له ـ أو يسند إليه ـ أى محمول يختلف عن ذاته .

هذه النظرية هى التى رد عليها أرسطو بنظريتة فى المقولات التى غير فيها عدداً مختلفاً من المعانى للوجود وبذلك يجعل من الممكن الكلام عن سلسلة من المقولات والعلاقات بين الموضوع والمحمول (٤٧)، فأذا وضعنا هذا التفسير فى الاعتبار تبين لنا مدى الأثر الذى أحدثته فلسفة بارمنيدس فى المنطق الأرسطى .

وقد بدا ـ كذلك ـ أن الفلسفة الإيلية عند بارمنيدس تجعل المركز والتغير غير ممكنين ، وذلك بتأكيدها أن ما يوجد which is يوجد دائماً alwaysis وأن هذا الوجود لم يأتى من اللاوجود ، لإن هذا الأخير لا معنى له . وقد كان على أرسطو ـ نتيجة لهذا ـ أن تقوم فلسفته الفيزيقية

(٤٥) د. أحمد فؤاد الأهوانى : « الفلسفة اليونانية » ص ١٣٧ .

(٤٦) المرجع السابق . ص ١٣٨ .

(٤٧) مقال « أرسطو » من « موسوعة الفلسفة » المجلد الأول بإشراف Edwards .

على البحث عن حقيقة فى أساس خلف العناصر ، أساس يمكن أن تلحق به الطبقات المختلفة للأشياء (٤٨). وما يترتب على ذلك من تغير .

وفيما يتعلق بالفلسفة الطبيعية عند أرسطو يمكن القول أن فكرة بارمنيدس عن الوجود كفكرة متكاملة مكتفية بذاتها ، هذه الفكرة كان لها صدها فى طبيعيات أرسطو عندما يقول بوضوح : « لا يوجد مكان أو فراغ أو زمان خارج السماء » ، ويكرر هذه العبارة فى عدد من كتبه مثل : « عن السماء » و « الطبيعة » و « ما بعد الطبيعة » (٤٩).

ومع ذلك ورغم هذه التأثيرات والأصداء التى نجدها لبارمنيدس عند أرسطو نجد أن أرسطو له إنتقاداته التى يوجهها للفلسفة الايلية - عند بارمنيدس وأتباعه - ولكننا نرجىء الحديث عنها إلى القسم الثانى من هذا الفصل .

وإذا إنتقلنا - بعد ذلك - إلى الفكر الفلسفى فى العصور الحديثة يمكننا أن نلمس بعض الأصداء لفلسفة بارمنيدس عند عدد من المفكرين ، أو ما يمكن أن نطلق عليه تشابه فى الاستدلال والمسار الفكرى .

فعندما يقول لنا بارمنيدس : « أن موضوع الفكر وموضوع الوجود واحد وهو نفس الشىء (٥٠)، وعندما يؤكد لنا - أكثر من مرة - أن الوجود الحق ليس معروفاً للحواس وأنه لا يعرف إلا عن طريق العقل ، فأنه بهذا يؤكد أن الحقيقة لا توجد إلا فى العقل (٥١). عندما نعرف هذا فإننا نتذكر ما يماثل هذا عند ديكارت - ابى الفلسفة الحديثة - أو ما يقرب منه ، فديكارت كان مدخله إلى الشك المنهجى - الذى اشتهر به وأصبح لصيقاً بأسمه - هو رفضه لمعطيات الحسية . وعندما يبحث عن مخرج له من هذا

---

(٤٨) المرجع السابق .

(49) Guthrie : Op. cit . P. 48 .

(٥٠) أنظر القصيدة ، الفصل الثانى .

(٥١) وولتر ستيس ، « تاريخ الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ٥١ .

الشك يصل إلى قاعدة صلبه ، اتخذ منها يقينه الأول الذى بنى عليه فلسفته كلها بعد ذلك ، ونعنى بذلك قاعدة الكوجيتو أو « أنا أفكر ، اذن فأنا موجود » . وهنا نجد ديكارت قد ربط بين الفكر والوجود ربطاً يذكرنا ببارمنيدس وإن لم يكن مطابقاً له تماماً .

وكذلك عندما يوحد ديكارت بين المادة والمكان فأنه بذلك يرفض الفراغ ، فالقول به هو تناقض فى نظر ديكارت (٥٢)، وهذا ما رأيناه عند بارمنيدس أيضاً ، فالمكان الخالى لا وجود له عنده ، والوجود كله ملاء كامل (٥٣).

وإذا انتقلنا إلى اسبينوزا نجد عنده فكرة الوجود الواحد أو الكل (٥٤)، أو وحدة الوجود ـ كما يقول مفسرو فلسفته ـ بل أنه يبنى فلسفتة كلها على ما يترتب على هذه الفكرة ـ أى فكرة الكل الواحد ـ من نتائج ، وهذا هو نفس المسار الذى أتبعه بارمنيدس عندما أقام فلسفته أو مذهبه على القول بالوجود الواحد ، وما يترتب على هذا القول من نتائج (٥٥).

وأياً كان ما يدل عليه هذا التشابه أو التقارب فى منهج التفكير ، وفى بعض المقدمات أو النتائج بين فكر ومنهج بارمنيدس ، وبين ما نجده عند بعض الفلاسفة المحدثين ، فأن الأمر الذى يمكن الاتفاق عليه هو أن بارمنيدس كان معروفاً لهؤلاء جميعاً وليس من المستبعد أن تكون أفكاره ـ أو بعضها ـ قد وجدت إلى أساليبهم فى التفكير وإلى بعض النتائج التى توصلوا إليها .

---

(52) Barnes , Op. cit . P. 223 .

(٥٣) وولتر ستيس : مرجع سابق ص ٥٠ .

(54) G. D. Santillana . OP. cit . P. 98 .

(55) Ibid : P. 98 .

والحق أن هذا السؤال ـ كما يذكر د. الأهواني ـ تعَددت الأجابات عليه بأشكال متعارضة تماماً . فهناك من يرى أن بارمنيدس هو «أبو المادية»(٨٤) . وهناك آخرون فسروا فلسفته تفسيراً مختلفاً فزعموا أنه بعيد كل البعد عن المادية ، ومن ثم فأن فلسفته ـ فى نظرهم ـ هى فلسفة مثالية فى جوهرها (٨٥) . كما أن هناك من جمع فى فلسفة بارمنيدس بين المادية والمثالية مثل الاستاذ رى Rey فى كتابة « شباب العلم اليونانى » (٨٦) . ومن ثم نرى أن هذه المشكلة المتعلقة بما إذا كان بارمنيدس مادياً أم مثالياً هى مشكلة تتطلب المزيد من التفصيل .

فمن الفلاسفة المحدثين الذين فسروا بارمنيدس تفسيراً مثالياً نجد **هيجل وأردمان وشبنجلر** (٨٧) . والفكرة الأساسية التى يقوم عليها هذا التفسير المثالى لبارمنيدس أن تصوره للوجود لم يكن ـ فى الحقيقة تصوراً مادياً ، بل هو فكر تجريدى بالدرجة الأولى (٨٨) ، فهو مفهوم عقلى صرف، وهذا الوجود ـ كما يؤكد بارمنيدس أكثر من مرة فى قصيدتة ـ لايجب أن يقوم على الحواس ، فهو لايوجد إلا فى العقل ونحن نكون فكرتنا هذه عن الوجود بطريق التجريد العقلى الخالص .

وإذا نظرنا إلى المسألة التى تُشكل جوهر فلسفة بارمنيدس ، ونظرنا إليها بالمنظور المعاصر ، وبحثنا عن السمة أو الصفة المشتركة لكل الأشياء فى الكون ، وتركنا أختلافاتها وتنوعاتها فسوف نجد أن العنصر المشترك فيها جميعاً هو ـ بكل بساطة ـ أنها موجودة ، أى الوجود وعلى ذلك فالوجود اذن فكرة عامة أو مفهوم ، هو فكرة وليس شيئاً .

---

(٨٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : « الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ١٤٢ .

(٨٥) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٨٦) المرجع السابق : ص ١٣٦ .

(٨٧) وولتر ستيس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » مرجع سابق ص ٤٩ .

(٨٨) المرجع السابق : ص ٥٠ .

فبارمنيدس يضع الحقيقة المطلقة للأشياء ـ والمشتركة بينهما جميعاً ـ فى فكرة ، أى فى الفكر أو العقل ، هذا وأن كان يصورها فى قصيدتة بطريقة مادية أو حسية (٨٩).

وكما نعرف ، فإن المبدأ الأساسى الذى تقوم عليه الفلسفة المثالية هى القول بأن الحقيقة المطلقة تقوم فى الفكر أو العقل ، والتى يُعتبر العالم الخارجى مجرد تجلياً لها (٩٠). وعلى ذلك فعندما يقول بارمنيدس بهذا فهو فليسوف مثالى بلغة التصنيف الحديثة .

بالإضافة إلى أن ما يؤكد هذه المثالية أو يبرر هذا التفسير هو أن بارمنيدس يفرق تفرقة حاسمة بين الحس والعقل ويؤكد أن الوجود الحق ليس معروفاً للحواس ، بل لا يُعرف إلا عن طريق العقل (٩١). وهذه التفرقة بين الحواس والعقل هى صفة أساسية فى كل فلسفة مثالية .

وهذا ما دفع بارنز إلى القول أن باركلى ـ فيلسوف المثالية الانجليزية الحديث ـ هو أكثر المعبرين عن قضية بارمنيدس القائلة أن كل ما يمكن الحديث عنه أو التفكير فيه موجود (٩٢). بل أن باركلى عندما يؤكد أن الوجود الحقيقى هو الوجود فى العقل وأنك لا تستطيع أن تتصور أن موضوعات الفكر يمكن أن توجد دون العقل ، فباركلى هنا فى خط مباشر تماماً مع فكر بارمنيدس (٩٣).

---

(٨٩) المرجع السابق : ص ٥١ .

(٩٠) هذا يذكرنا بالفلسفة الأفلاطونية وعالم المثل فيها .

(٩١) وولتر ستيس . المرجع السابق ، ص ٥١ .

(92) Jonathan Barnes : Op . cit . P. 170 .

(93) Ibid : P. 171 .

ومع ذلك نلاحظ أن المعنى الحقيقي لهذه الحجة لا يفصح عنه أفلاطون ـ خلال هذا الجزء من المحاورة ـ لأن الغريب يتجنب الأشارة إلى المثل « ويكتفي بالحديث عن الأسماء وما تدل عليه [٦٠]. وكذلك تبدو هذه الحجة لفظية ، لأن أفلاطون يتحدث عن « أسماء » ـ وليس عن المثل ـ ما تدل عليه هذه الاسماء وفقاً لنظريته ، وقد يبدو غريباً بالنسبة لنا الحديث عن الاسماء باعتبارها « أشياء حقيقية » إلى جانب الشيء الذى يحمل هذه الأسماء [٦١].

وعلى أية حال فإن الهدف الذى قصد إليه أفلاطون من هذه الحجة ـ أو من هذا النقد ـ هو أن بارمنيدس مثل الطبعين قد فشل فى التفرقة بين الشيء الواحد الحقيقي فى نظره وبين مثالى « الحقيقة » و « الوحدة » والتى يشارك فيهما هذا الشيء ، كما أنه قد فشل فى رؤية أنه لا يستطيع أن يؤكد هذا الوجد الواحد الحقيقي دون الأعتراف ـ كذلك ـ بحقيقة هذين المثالين [٦٢].

الفرض الأول فى محاورة « بارمنيدس » يصوغة أفلاطون نقداً للفلسفة الايليه بقوله : أنك إذا أفترضت ـ كما فعل بارمنيدس ـ «الواحد» الذى يستبعد أى تعدد ، فأنك لا تستطيع حتى مجرد تأكيد أنه يوجد أو أن تسند إليه أى أسم أو صفة [٦٣].

أما النقد الثاني الذى يوجهه أفلاطون إلى بارمنيدس فيتجه إلى وصف هذا الأخير للواحد الحقيقي بأنه « الكل » ، فأن الكل هو الملازم أو المتضايف « للجزء » ، وشيء يسمى « كلاً » ما لم يكن له أجزاء [٦٤].

(60) Ibid : P. 221 .
(61) Ibid : P. 221 .
(62) Ibid : P. 221 .
(63) F. M. Cornford : Op. cit. P. 222 .
(64) Ibid : P. 222 .

ويذكر أفلاطون هذه الحجة أيضاً فى محاورة « ثياتيتوس » ـ المرجع السابق ونفس الصفحة هامش رقم (2) .

فبارمنيدس قد سمى الواحد الحقيقى بأنه « الكل » « The all » ، وأعلن أنه كرة متناهية ، لها مركز ومحيط ، وهذه لغة تتضمن ـ كما يقول الغريب من ايليه فى محاورة « السوفسطائى » ـ أن هذا الكل أو هذه الكرة لها أجزاء يمكن تميزها (٦٥).

والحجة التى يقدمها أفلاطون ـ نقداً لهذا القول ـ معقدة ودقيقة ، وهى كما يلى : إذا كان الحقيقى كلاً (أى شيئاً واحداً له أجزاء متعددة) فإن هذا الحقيقى لايتطابق مع الوحدة ذاتها (تلك الوحدة التى ليس بها أجزاء) ، وعلى ذلك فسوف نجد أنفسنا ـ إذا أخذنا بقول بارمنيدس ـ أمام أحراج Dilemma مؤداه :

أ ـ إذا كان الحقيقى كلاً مكوناً من أجزاء فأنه بذلك ليس الوحدة ذاتها ، وسوف يكون هناك تعدد ، وهذا يتناقض مع ما ذهب إليه بارمنيدس وجوهر فلسفته .

أو ب ـ أن الحقيقى ليس كلاً له أجزاء وعلى ذلك فسيكون هناك أيضاً نوع من التعدد هو الحقيقى والكلية .

بالإضافة إلى أن القول بالكلية ـ المتضمنة للإجزاء بالضرورة والتى لا تفهم بدونها ـ يؤدى إلى إننا عندما نسلم بهذا التعدد للأجزاء ، فإننا نصل إلى نتيجة تتعارض مع ما يقوله بارمنيدس من أن الوجود الواحد متصل وليس تجمعاً لأجزاء متميزة يفصل بينها مكان فارغ ولا مجال ـ هنا ـ للقسمة فالوحدة ـ فى نظر بارمنيدس ـ هى وحدة مطلقة تستبعد أى نوع من التعدد(٦٦).

---

(٦٥) فهى ذات مركز ومحيط ، ولها أبعاد متساوية من المركز إلى المحيط وهكذا .

(66) Ibid : P. 224 .

فالغريب من ايلية يعنى بهذا الكلام أنه إذا كان بارمنيدس يوحّد فعلاً بين الوجود والواحد وبين الوحدة المطلقة ، فأنه لم يكن منطقياً بلغتنا الحديثة عندما تتحدث عن الوجود ككرة لها أجزاء تميزها (٦٧).

ولكن يمكن القول أن أفلاطون ـ رغم هذا النقض الذى يوجهه إلى بارمنيدس للوصول إلى نظريته فى المثل فأنه يميز تميزاً حاسماً بين بارمنيدس وبين الفلاسفة الطبيعيين أو فلاسفة ملطية وأيونية . فهؤلاء ـ فى نظر أفلاطون ـ ماديون بحثوا عن الطبيعة الحقة للأشياء فى نوع من المادة النهائية مثل الماء أو الهواء(العناصر الأربعة) ، أما بارمنيدس فأن الوجود الواحد عنه ليس جسماً ملموساً ، أنما هو موضوع للفكر ، وليس له هذه الصفات المتعارضة التى تكشف عنها الحواس على سبيل الوهم أو الظن .

وبينما الفلاسفة الطبيعيون ماديون وقائلون بالتعدد ، فإن الفلاسفة الايليون ـ وعلى رأسهم بارمنيدس ـ فلم يكونوا مجرد واحديين وإنما هو أيضا مثاليون ، ومن هنا كان التقدير غير العادى الذى يكنه أفلاطون لبارمنيدس والذى جعله يعتبره المبشر الأول لفلسفته ـ أى فلسفة أفلاطون ـ المثالية (٦٨).

ويمكن القول ـ رغم هذا النقد لافلاطون لبارمنيدس ـ أن الفكرة الميتافيزيقية عن الوجود الثابت والقناعة الأبستمولوجية ـ بأن المعرفة يمكن تفسيرها فقط بأعتبارها اتصال العقل بموضوع حقيقى ثابت غير حسى ، يمكن القول أن هذه الأفكار تمثل حجر الزاوية للفلسفة الأفلاطونية (٦٩)،

(67) Ibid : P. 224 .

(68) Ibid : P. 224 .

(69) Luthrie : The History of Greek Philosoply . Op. cit. P. 39 .

وهى كلها ـ كما نعرف ـ أفكار بارمينديه ، ورغم أن الفلسفة الأفلاطونية لم تذهب إلى آخر الطريق مع بارمنيدس ، فبدونه فان ميتافيزيقا أفلاطون ونظريته فى المعرفة كان يمكن أن تكون ذات شكل مختلف تماماً (٧٠).

وعندما نصل إلى أرسطو نلاحظ قبل الإشارة إلى فقده لفلسفة بارمنيدس نلاحظ ما قاله الشراح والمفكرون ـ بحق ـ أن إرهاصات كثيرة بالمنطق الأرسطى موجودة فى فكر بارمنيدس ، فنجد سانتيلانا ـ مثلا ـ بعد أن يشير إلى انجازات بارمنيدس فى مجالات وميادين متعددة من المعرفة يذكر أن شهرة بارمنيدس ليس مردها إلى هذه الأنجازات ، ولكنها ترجع ـ بالدرجة الأولى ـ إلى أنه أول من قال بالتضمن المنطقى (٧١)، وقد رأينا كذلك أن بارمنيدس هو أول من أكد مبدأ الذاتية أو الهوية ، ذلك المبدأ الذى يقوم عليه المنطق الصورى كله عند أرسطو .

وبالإضافة إلى ذلك فإن أرسطو نفسه يُقرر أن أول من تكلم فى الفلسفة الأولى ـ أو الميتافيزيقا وفقاً للمصطلحات التالية لأرسطو ـ هو بارمنيدس ، إذ أنه حسب تعبير أرسطو أول مفكر يدرس الوجود بما هو كذلك (٧٢)، كما أنه يصف بارمنيدس بكونه أكثر ذكاء وعمقاً من الفلاسفة الآخرين (٧٣).

ومع ذلك ، ورغم هذه المكانة التى يحتلها بارمنيدس فى التراث الأرسطى كان لا بد أن يوجه أرسطو بعض النقد لبارمنيدس حتى يتمكن من صياغة نسقه الفلسفى الخاص ، وذلك فى مواجهة هذه البارمنيدية المسيطرة.

فقد رأى أرسطو بوضوح ـ كأى ناقد حديث ـ أن نظرية « الوجود

---

(70) Ibid : P. 39 .
(71) G. D. Santillana : Op. cit. P. 91 .
(٧٢) أنظر الفصل الثانى .
(73) Guthrie : Op. cit . 55 .

الواحد » هى فقط التى تحتوى الحقيقة بالنسبة لبارمنيدس أما عالم التعدد الفيزيقى والتغير والحركة فهو ـ ببساطة ـ وهم وخطأ (٧٤).

فأرسطو عندما يُفسر الفلسفة الايلية فى كتابه « السماء » يقول : «يقولون رأى الفلاسفة الايليون وعلى رأسهم بارمنيدس ـ أن الوجود لا يفنى وليس له بداية ، لأن ماله بداية فى الوجود أما أن يتولد مما هو موجود أو ما لا وجود له ، وكلا الأمرين مستحيل، فما هو موجود غير خاضع للصيرورة، ولاشىء يأتى من العدم » (٧٥).

وقد كان من أتجاه أرسطو نحو بارمنيدس اتجاهاً متعاطفاً ، فهو يرى أن بارمنيدس قد أخطأ فى نتائجة التى توصل إليها من أفتراضة «الواحد الثابت » ، ولكن أرسطو ـ قبل أن يوضح هذه الأخطاء ـ يرى أن تلك الأخطاء قد نشأت أساساً نتيجة محاولة بارمنيدس الأنغماس فى الجدل والاستدلال المجرد قبل أن تتطور مبادىء المنطق بدرجة كافية (٧٦). فالأخطاء المشتركة فى المدرسة الايلية ـ كما يرى أرسطو ـ كانت نتيجة لعدم الخبرة ونقص التجربة فى أساليب الاستدلال التى كانو يحاولون استخدامها . فالمقدمات عند كل من بارمنيدس ميليسوس مقدمات خاطئة ، ولكن بارمنيدس كان أكثر براعة فى الاستدلال من تلميذه (٧٧).

وعندما يتناول أرسطو فكر بارمنيدس بالتحليل والنقد ، يرى أنه فى «طريق الظن» من قصيدتة يُقرر الوجود الواحد ، وهنا يتسأل أرسطو : « إذا

(74) Ibid : P. 55 .
(75) Ibid : P. 55 .
(76) Ibid : P. 55 .
(77) Ibid : P. 55 .

كان لابد أن يكون هناك وجوداً مطلقاً وحدة مطلقة ، فانه يُصبح من الصعب - بدرجة كبيرة - أدراك كيف سيوجد أى شىء آخر بجانب هذه الوحدة المطلقة ، أى كيف يمكن للأشياء الموجودة أن تكون أكثر من واحد... » (٧٨).

ومع ذلك - كما يرى أرسطو - فأن بارمنيدس عندما تحدث عن طريق الظن ، وفى الجزء الأخير الباقى من قصيدته قال بوجود شيئين هما النور والظلام أو النار والأرض ، وكذلك يذكر أرسطو هذا القول لبارمنيدس وفلاسفة ايلية فيقول فى كتابة « الكون والفساد » : « إن هؤلاء الذين بدأوا بشيئين - كما فعل بارمنيدس بالنار والأرض - يجعلون أو يصورون الوسائط(٧٩) عبارة عن أخلاط من هذين الشيئين » (٨٠).

فأرسطو يصور موقف بارمنيدس كما يلى : لقد أعتقد بارمنيدس أن شيئاً واحداً . واحداً فقط هو الموجود بالضرورة ، ولكنه - أى بارمنيدس - لكونه مضطراً لمتابعة الظواهر ، ومفترضاً أن نما يوجد هو واحد بحكم تعريفه ولكنه - فى نفس - الوقت أكثر من واحد طبقاً لمعطيات الحسى - فقد أضطر للأحتفاظ بعلتين أو مبدأين هما الحار والبارد ، قاصداً بذلك النار والأرض .

ومن ثم فأن تفسير أرسطو لبارمنيدس هو قوله أن الحقيقة واحدة غير

---

(78) Guthrie : Op. cit . P. 56 .

والفقرة التى ذكرت عاليه ينقلها جثرى من كتاب « ما بعد الطبيعة » لأرسطو .

(٧٩) أى الموجودات الأخرى كما نراها فى عالم الحس .

(80) Guthrie : Op. cit . P. 56 .

متغيرة وخالدة ، أما التفسير الذى يصفه بارمنيدس بأنه « معتقدات البشر الفانين » ، هذا التفسير كان محاولة منه لايجاد النظام والتماسك داخل عالم الظواهر أو عالم الحسى ، بعد أن يؤكد ـ مبدئياً ـ أن هذا العالم غير حقيقى أو وهم .

وهنا يؤكد أرسطو ـ من ناحية أخرى أن هذا التفسير هو تفسيره الخاص . إذ لا يوجد ـ فى الحقيقة ـ أى ناقد أو مفسر قديم قد أشار إلى أن هذا التفسير البارمنيدسى قد يكون تركيباً لأفكار قائمة أو سابقة ، أو أنة تكرار لنسق خاص لدى غيره من الفلاسفة كالفيثاغوريين مثلاً .

وما يرفضة أرسطو أيضاً من الفلسفة الأيلية هما أنها تنكر الكون والفساد ، أو تعتبر أن هذين مجرد ما يبدو لنا فى عالم الظواهر وعن طريق المعطيات الحسية ولكنه ليس حقيقة ، كما يرفض أرسطو افكار بارمنيدس للتغير والحركة ، فقد لاحظنا أن نظرية المقولات الإرسطية كانت محاولة من أرسطو لإثبات الحركة والتغير والكون والفساد والتعدد وكل ما أنكره بارمنيدس .

أما القول بالنار والأرض أو النور والظلام لتفسير عالم الظواهر كما يبدو لنا عن طريق الحواس ، والذى أشار إليه أرسطو وأعتبره محاولة من بارمنيدس لتبرير الواقع الملموس ، هذا القول وما يتضمنه من مساواة الظلام بالأرض والقول بسلبية الظلام وفاعلية النار ، يرى جثرى أنه يرجع إلى عقيدة قديمة للغاية كانت شائعة فى الفلسفة وفى الأساطير اليونانية فى الفترة السابقة على بارمنيدس [٨١] .

(81) Ibid : P. 59 .

فهذا القول يرجع إلى فكرة الأرض الأم والسماء الأب ، حيث توفر الأم فقط المادة والمكان الذى يمكن أن تنمو فيه حياة جديدة وأن الأب هو الفاعل أو العامل الذى يبعث فيها الحياة [٨٢]، وهى الفكرة التى نجدها أيضا فى كتابات اسخيلوس وسوفوكليس كما نجدها كذلك عند أفلاطون . وهذه الفكرة ـ والتى تتأخذ أشكالاً متعددة نجدها تتكرر عند الفلاسفة ، سواء قبل أو بعد بارمنيدس عندما حاول فى نهاية قصيدتة تقديم نظرية عن أصل الكون تتفق مع « ظنون البشر الفانين » ، وبدأ هذه النظرية بالمبدأين المتضادين وهما النار (أو الحرارة أو الضوء) والظلمة (البرودة أو الأرض ، فأنه قد فكر فى النار ومتلازماتها بأعتبارها العنصر الفعال ، بينما المبدأ المقابل (وهو الأرض أو الظلمة) ، فهو العنصر السلبى [٨٣] .

وإذا انتقلنا إلى العصور الحديثة والفلسفة المعاصرة فسوف نجد العديد من التفسيرات لفلسفة بارمنيدس إلى جانب أشكالاً مختلفة من الانتقادات التى وجهت إليها ويمكن أن يكون مدخلنا إلى هذه التفسيرات والأنتقادات الحديثة ما رأيناه عند مفسريه وشراحه اليونان وخصوصاً أفلاطون وأرسطو .

فقد رأينا أن **أفلاطون** كان يعتبر بارمنيدس فيلسوفاً مثالياً عندما قارنه بالفلاسفة الطبيعيين الأيلين . وكذلك عندما نظر إليه على أن أول من بشر بالفلسفة المثالية التى وجدناها نأخذ صورتها الكاملة من نظرية المثل الأفلاطونية .

وهنا يثور السؤال الهام والذى شغل كثيراً من المفكرين حتى الأزمنة المعاصرة وهو : هل كان بارمنيدس فيلسوفاً مثالياً أم مادياً ؟

---

(82) Ibid : P. 59 .
(83) Guthrie : Op. cit . P. 59 .

ثانيا : التفسيرات المختلفة لفلسفة بارمنيدس ونقدها :

رأينا فى الجزء الأول فى هذا الفصل بعضاً من التأثيرات والأصداء التى أحدثتها فلسفة بارمنيدس فى فكر من جاءوا بعده ، ولاحظنا أيضاً مدى التقدير الذى كان يكنه له أفلاطون ، وإلى أى حداً كانت فلسفة أفلاطون ـ بشكل ما ـ نوعاً من التطوير لفكرة الوجود الحق عند بارمنيدس .

ومع ذلك ينبغى أن نعرف إن أفلاطون ـ خلال تأثرة بفكر بارمنيدس ولكى يصل إلى فلسفته الخاصة وخصوصاً نظريته فى المثل ـ كان عليه أن يتعرض بالنقد لفلسفة بارمنيدس وخصوصاً فى جوانبها ومنطلقاتها التى لا تتفق مع فلسفته الخاصة .

كما عرفنا أن أفلاطون قد خصص محاورة « السوفسطائى » لنقد آراء بارمنيدس ولتأكيد نظريته الخاصة فى المثل ـ وكذلك لاثبات نوعاً من الوجود لعالم الظواهر وما فيه من حركة والتعدد والتغير .

ففى هذه المحاورة نجد شخصية الغريب من ايلية ـ والذى قُلنا الذى يمثل بارمنيدس كما يُريد منه أفلاطون ، وأن كان قد أعتنق نظرية المثل الأفلاطونية وما يعنى هذا من أن أفلاطون يُريد بهذه الشخصية تطويراً وتعديلاً لأفكار بارمنيدس ـ نجد هذا الغريب يتجه إلى بارمنيدس بهدف نقد آراءه ، لأن ما يعترض طريق المناقشة ـ خلال الحوار ـ هو فكرة بارمنيدس الصارمة الحادة عن الوجود الواحد الحقيقى باعتبار أنه هو وحده الذى له أى نوع من الوجود . ونلاحظ أن الحجج أو الأدلة التى يقدمها أفلاطون ضد هذه الفكرة البارمنيدية حجج مجددة مختصرة مثل أسلوب بارمنيدس نفسه (٥٦) .

وهو يعلن أن بارمنيدس يقرر أن كل الواقع ـ أو الحقيقة ـ هو الوجود الواحد أو الوحدة الوجودية ، ane being or existentunity وهذا

(56) F. M. Cornford : Op. cit . P. 220 .

الوجود الواحد له فقط تلك الصفات التى يمكن استخلاصها أو استنباطها من تصورات الوجود والوحدة . وكل تصور منهما ينبغى أن يأخذ بأقصى درجة من الدقة والحدة [٥٧]« فالوجود يعنى الحقيقة الكاملة » كما أن الوحدة تستبعد أى تعدد ، فلا يوجد إلا هذا « الشىء الواحد الحقيقى one Real Thin« [٥٨].

والحجة الأولى التى يقدمها الغريب ضد هذا التصور البارمنيدى للوجود هى كما يلى : إذ كان هناك فقط شىء واحد حقيقى ، فمن غير المناسب أن نطلق عليه أسمياً هما : « حقيقى » ، « وواحد » وقد تبدو هذه الحجه حجة ظاهرية سطحية ، ولكن أفلاطون يفترض ـ مرة أخرى ـ فى نظريته أن الأشياء مثل « حقيقى » و « وواحد » لها معان ، وأن هذه المعانى هى المثل التى يشارك فيها الشىء الذى يحمل هذه الأسماء [٥٩]. فإذا أطلقت على الشىء الواحد الحقيقى الاسمية معاً (أى قلت أنه واحد فأنه حقيقى فأنه يترتب على ذلك وجود ثلاثة مصطلحات) هى : معانى الاسمية اللذين هما مثلا « الوجود » و « الوحدة » إلى جانب الشىء الذى يحمل هذين الاسمين ويشارك فى هذين المثالين .

والأكثر من ذلك ، فإن نظرية أفلاطون تعنى أن مثالى الحقيقة (الوجود) والوحدة نفسيهما لهما أقصى درجات الواقعية ، ويترتب على هذا أن أبسط قضية والأكثر جوهرية عند بارمنيدس والقائلة أن هناك فقد وجود واحد حقيقى لا يمكن تقريرها تماماً دون الاعتراف أو التسليم بوجود ثلاثة أشياء حقيقة .

---

(57) Ibid : P. 220 .
(58) Ibid : P. 220 .
(59) Ibid : P. 220 .

وان كان بارنز يرى أنه من الممكن التفكير والحديث عن أشياء غير واقعية أو غير موجودة ويضرب لذلك أمثلة من تاريخ العلم ومن الاساطير والنقد الأدبى ويصل إلى نتيجة مؤداها أن قضية بارمنيدس والخاصة بقصر الحديث والتفكير فيما هو موجود فقط قضية غير مقنعة (٩٤).

فنحن نستطيع أن نفكر ـ ونفكر فعلا ـ فى أشياء لا وجود لها ، ونحن نستطيع أن نتحدث عن أشياء ـ ونتحدث فعلاً ـ عن أشياء غير موجودة ـ كما نستطيع أن ندرس ـ وندرس فعلاً ـ أشياء غير موجودة ، ومثل هذه الدراسات والأحاديث والأفكار ليست دائماً سخيفة أو لا معنى لها ، وعلى ذلك ـ كما يرى بارنز ـ فإن بارمنيدس لم يقدم لنا سبباً قوياً أو مقنعاً لرفض هذه الأفكار والآراء العادية المألوفة (٩٥) ، ويترتب على ذلك أن ميتافيزيقاه مؤسسة على مقدمات خاطئة ، كما أن الحجج التى قدمت دفاعاً عنها حجج مشكوك فى صحتها (٩٦).

ومع ذلك يقرر بارنز أن النتيجة التى توصل اليها بارمنيدس رغم أنها غير صحيحة إلا أنها تدل على البراعة وقد يرة بالأحترام ، كما أنها ذات جاذبية وقابلية للتصديق بدرجة كبيرة .

فإذا عدنا إلى التفسير المثالى لفلسفة بارمنيدس فسوف نلاحظ أنه ـ برغم وجاهته ـ يتعارض مع بعض العبارات التى ترد فى قصيدة بارمنيدس ، مثل حديثة عن الملاء ، والكرة المتجانسة المتساوية الأبعاد من كل الاتجاهات وكذلك اصراره على ـ وتكراره ـ للفظة الوجود والوجود الحقيقى . وهذه كلها أمور جعلت بعض المفكرين ينظرون إلى فلسفتة على أنها فلسفة مادية

(94) Ibid : P. 172 .
(95) Ibid : P. 172 .
(96) Ibid : P. 172 .

صدفة بل إن برنت Barnet يصفه بأنه أبو المادية [٩٧]. أستناداً إلى أن الوجود ـ عند بارمنيدس وكما تصفه عبارات القصيدة ـ كامل . لا يتحرك، غير قابل للأنقسام . كرة مستديرة متساوية حول مركزها . وكل هذه أوصاف لا تنطق إلى على الكائن المادى الخالص [٩٨].

ولكن هل يمكن التفريق بين هذين التفسيرين ؟ وقبل ذلك يمكن أن نتساءل ـ كذلك ـ ايهما على صواب وأيهما الخطأ ؟ الحق أن بارمنيدس نفسه يجعلنا فى حيره إن نحن حاولنا الاجابة على هذه التساؤلات. لأن هذين التفسيرين يمكن أن يقوما جنباً إلى جنب عند بارمنيدس ودون تصالح وكل منهما يناقض أحدهما الآخر كما يذهب إلى ذلك وولترستس [٩٩] . W. stace وبارمنيدس نفسه لم يتبين هذا التناقض.

أما إذا نظرنا إلى المسألة من زاوية أخرى هى **صداه في الفكر اللاحق** سنجد أمتداداً مادياً لفلسفته عند امبادوقليس ، وديموقريطس وسنجده مثالياً مسرفاً فى المثالية عند أفلاطون الذى وحّد بين المثال وبين الوجود البارمندسى [١٠٠]. وقد كان هذا الأختلاف فى تفسير فلسفة بارمنيدس بين المثالية والمادية هو الذى جعل الأستاذ رى Rey يرى أنه لا مادى ولا مثالى أو أنه هو هذا وذاك فى أن واحد [١٠١].

والحق أن بارمنيدس لم يكن يعرف المذهب المادى أو المذهب المثالى ، لإن التفرقة بين المادية والمثالية لم تكن ـ فى عهده ـ قد تطورت بعد[١٠٢]

---

(٩٧) د. أحمد فؤاد الأهوانى : « الفلسفة اليونانية » المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٩٨) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٩٩) وولتر ستيس : « تاريخ الفلسفة اليونانية » المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(١٠٠) المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(١٠١) د. أحمد فؤاد الأهوانى : مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(١٠٢) وولتر ستيس : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

ولكننا نحن الذين نحمل فلسفة بارمنيدس فوق ما تطيق ، ونصوغها فى ضوء هذا المذهب أو ذاك (١٠٣).

والخلاصة التى يمكن أن ننتهى إليها من هذا العرض للتفسيرات المختلفة التى قُدمت لفلسفة بارمنيدس هى أن أهم مايميز فلسفته هو نزعتها الفعلية الصرفة ، فالفلسفة ـ فى جوهرها ـ هى حركة الأنتقال من التفكير الحسى اتجاهاً نحو التفكير العقلى الخالص أو هى تخطى الجزئيات إلى الكليات . ولا شك أننا نجد هذا ـ بوضوح ولأول مرة فى الفلسفة اليونانية ـ عند بارمنيدس (١٠٤). والذى كان رائداً فى هذا المجال الفكرى المجرد ، ولم يكن أمامه تجارب سابقة تمهد له الطريق . وربما كان هذا هو السبب الذى جعله يصوغ هذا الفكر المجرد فى عبارات قد تحتمل التأويل المادى (١٠٥).

والحقيقة أن الوجود الأيلى ـ عند بارمنيدس هو فكر تجديدى خالص، أنتقل به الفكر من التفكير الحسى عند الفلسفة الأيونية إلى التفكير المحض المجرد ، أما الفكر الفيثاغورى ـ الذى يتوسط هاتين المرحلتين ـ فهو فكر شبه حسى أو هو بمثابة مرحلة انتقال بينهما .

كما أن فلسفة بارمنيدس يمكن أعتبارها فلسفة واحدية تحاول تفسير الكون كله من مبدأ واحد (١٠٦). ومع ذلك فأننا نجد فى الفلسفة الإيلية عالمين يتواجهان ويقومان جنباً إلى جنب دون تصالح ، عالم الوجود الحقيقى ، وعالم الوقائع الوهمى ورغم أن بارمنيدس يحاول نفس العالم الحسى وأعتباره وهماً فأنه لم يستطيع أن يتخلص تماماً من هذا الوهم وهذه أحدى نقاط الضعف فى مذهبه .

---

(١٠٣) د. أحمد فؤاد الأهوانى : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .
(١٠٤) وولتر ستيس : مرجع سابق ، ص ٥٣ .
(١٠٥) المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(١٠٦) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

وقبل أن ننهى حديثنا عن الأنتقادات التى وجهت إلى فلسفة بارمنيدس يمكن الإشارة إلى ما تقوله المدرسة الماركسية وأتباعها عن فلسفتة فهى - فى نظرهم - فلسفة تناقض كل خبرة ، لأنها منهج فى التفكير يرفض الاتصال المستمر بالواقع (١٠٧)، ومن هنا كان تحذير بارمنيدس الدائم على الإعتماد على الحواس ، ففلسفته - وفقاً لهذا التفسير - تعبر عن مرحلة فكرية تفصل الفلسفة عن جذورها الحقيقية فى عالم الواقع والحياة العملية (١٠٨).

ثالثاً : فلسفة بارمنيدس والتفكير العلمى :

أشرنا من قبل إلى أن فكر بارمنيدس يتضمن أرهاصات منطقية بارزة ، فهناك التضمن المنطقى الذى بنى عليه استنتاجاته كلها والذى يحكم تتطور تفكيره وإنتقاله من قضية إلى أخرى وهناك ايضاً قوله - لأول مرة - بمبدأ الذاتية الذى يشكل حجر الزاوية فى فلسفتة كلها . والذى هو فى نفس الوقت الأساس الذى يقوم عليه المنطق الصورى .

ونعرض - إلى جانب ذلك أن المنطق أداة التفكير بصفة عامة والتفكير العلمى بصفة خاصة بالإضافة إلى نظرية المعرفة التى تبحث فيما يمكن معرفته ووسائل هذه المعرفة وحدودها وغير ذلك ، وقد رأينا أن بارمنيدس ربما يكون أول فيلسوف وضع مشكلة المعرفة فى وضعها الصحيح أو الدقيق ، عندما فرق - لأول مرة - بين نوعين من المعرفة هى المعرفة العقلية والمعرفة الظنية، كما فرق - لأول مرة أيضاً - بين وسائلنا فى تحقيق هذه المعرفة ، أى بين الحواس والعقل ، بالإضة إلى تأكيده أن المعرفة الحقة هى التى

(١٠٧) د. عبد العظيم أنيس : « العلم والحضارة » . ص ١٦٦ .

(١٠٨) المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

نتوصل إليها عن طريق العقل أما ما تمدنا بها الحواس فهى معرفة ظنية لا ينبغى الوثوق بها أو الارتكان عليها .

ومع ذلك فليس ما تقدم وحدة هو الذى نفيد بأثر بارمنيدس فى الفكر الانسانى بعامة والتفكير العلمى بصفة خاصة ، لأن النظرة الفاحصة المتأنية للموضوعات التى تضمها قصيدته سوف تكشف لنا عن بعض الجوانب الهامة التى أسهمت ـ بشكل أو بآخر ـ فى التفكير العلمى .

وكذلك فإن ما نريد أن نركز عليه هنا شىء يختلف عن الكشوف أو الاسهامات العلمية التى تنسب إلى بارمنيدس والتى أشرنا إليها عند الحديث عن حياته ونشاطاته المختلفة (١٠٩).

وما يلفت الانتباه هنا هو قوله سانتيلانا أن هناك من الأدلة ما يثبت أن بارمنيدس ينتمى إلى ميدان العلم والمنهج العلمى بقدر انتمائه إلى ميدان الفلسفة (١١٠). ويقدم دليلاً على ذلك أن كلمة « الوجود » عند بارمنيدس تلك الكلمة التى سببت صعوبات كثيرة أمام المفكرين إلى جانب ما أحدثته من اضطرابات فى تفسير القصيدة ، هذه الكلمة يمكن فى التحليل النهائى أن تستبدل بها « المكان الهندسى الخالص » دون إحداث أى تناقض فى أجزاء القصيدة ، وهذا التفسير يبين لنا أن ما كان يعنيه بارمنيدس عندما تحدث عن الوجود كانت فى ذهنه فكرة مجردة تشبه إلى حد كبير المكان كما تتصوره الهندسة أو علم الطبيعة ، وإن كان بارمنيدس لم يستطع تعريفه بدقة وفقاً لمصطلحات هذين العلمين (١١١).

---

(١٠٩) أنظر الفصل الأول .

(110) G. D. Santillana . Op. cit . P. 95 .

(111) Ibid : P. 95 .

وإذا عرفنا أن للأهتمام العظيم والاساس للعلم ـ منذ بداياته الأولى ـ هو أن يجد أو يصل إلى الأسس المشتركة للاشياء أى المبدأ الواحد الذى يوحد الكثير (١١٢). فالأتجاة نحو التفسير الواحدى للأشياء هو اتجاه شامل فى الفكر الانسانى ، والتقدم العلمى أو التفسير العلمى هو تقدم فى أساسه نحو الواحدية (١١٣). ومع تقدم المعرفة يجرى تفسير ظواهر الكون بمبادىء تزداد قلة وتعميماً فالهدف الأكبر ـ للمعرفة الأنسانية والعلم فى مقدمتها ـ هو تفسير الأشياء جميعاً بمبدأ واحد (١١٤).

وهذا ما حاوله بارمنيدس بأفتراضة الوجود الواحد أساساً لكل شىء أو هو كل شىء . وهو بذلك يمكن اعتباره رائداً ومبشراً بالاتجاه الصحيح الذى ينبغى أن يسير فيه المنهج العلمى الصحيح .

وإذا تأملنا قول بارمنيدس عن « الوجود الواحد » بأنه ثابت لا يقل إضافة وأنه أزلى فإن هذا قد يكون مبرراً لبعض المفسرين الذين وجدوا فى هذا القول أرهاصاً بمبدأ بقاء المادة الذى يقوم عليه العلم الحديث .

أما قول بارمنيدس عن أن « وجوده كله ملاء » لا فراغ فيه ، هذه الفكرة يرى كارل يوبر ـ الفيلسوف والعالم الكبير ـ هى نفس الفكرة التى تطورت إلى نظرية اتصالية المادة وهى التى وصل ـ عن طريقها ـ فراواى وماكسويل ثم انشتين وشروونجر إلى نظرية المجال (١١٥). وهذا ما دفع سانتيلانا إلى القول أن المكسب الأعظم من الثورة الايليه كان من حق العلم(١١٦).

فبارمنيدس إلى جانب زيادته لمجال الفلسفة الأولى أو الميتافيزيقيا نجد عنده الكثير من الأفكار الثاقبة التى استثمرتها الأجيال اللاحقة فى ميادين متعددة من ميادين الفكر وخصوصاً ميدان المنطق ومناهج البحث العلمى .

---

(112) Ibid : P. 96 .

(١١٣) وولتر ستيس : مرجع سابق ، ص ٦٢ .

(١١٤) المرجع السابق ، ص ٦٤

(115) Karl Popper and Jolm Ecclea the self and its Braim landon 1990 P. 5 .

(116) G. D. Santillana . P. 105 .

الخاتمة

قد يقال أن الفكر الإنسانى ـ خلال تقدمه عبر القرون ـ قد تجاوز بعض المقولات التى تضمنها فلسفة بارمنيدس كما تطور البعض الآخر ، وهذا شيء طبيعي وصحي ولا ينطبق على بارمنيدس وحده ولكنه حقيقى بالنسبة لغالبية الفلسفات التى يذخر بها تاريخ الإنسان بل إن هذا هو نفس ما يحدث فى تاريخ العلم ، وهو الذى يحقق التقدم المستمر نحو آفاق أوسع ومفاهيم أكثر دقة .

ومع ذلك فقد رأينا ـ عبر عرضنا للفلسفة الأيلية عند بارمنيدس وتلاميذه ـ أن هذه الفلسفة تتضمن أفكاراً مبتكرة وأساليب للتفكير استخدمت لأول مرة ، الأمر الذى يجعل بارمنيدس مستحقاً أن يلقب بأنه أول فيلسوف ميتافيزيقى فى اليونان وأنه أيضا « نبى المنطق » ومن ثم فبارمنيدس لم يكن مجرد أحد الفلاسفة السابقين لسقراط ، شأنه فى شأن أقرانه خلال هذه الفترة ولكنه ـ كما يتفق معظم المؤرخين والشراح ـ الشخصية التى تقسم الفترة السابقة لسقراط إلى قسمين ، قسم سابق له وقسم لاحق له ، لأنه أول من غيّر مسار الفكر الفلسفى وجعله يتبنى منهجاً وأسلوباً جديداً كل الجدة ، إلى جانب أن ما جاء به من قضايا وأفكار تجعل من الضرورى على كل مفكر لاحق أن يضع فى اعتباره ما قاله بارمنيدس ، فليس من السهل تجاهل هذه الموضوعات لمن يريد أن يدلى بدلوه فى مجال الفكر الفلسفى .

وقد أتضح لنا ـ كذلك ـ أن بارمنيدس شخصية خصبة متعددة الجوانب . له اسهاماته فى مجال العلوم والمنطق ونظرية المعرفة ، بالإضافة إلى ماعرفناه عنه من سنه للقوانين وتشريعاته المدنية ، كل ذلك إلى جانب فلسفته الميتافيزيقية المنفردة .

وإذا كانت التفسيرات التى قدمت لفلسفة بارمنيدس متعددة وكثيرة ، بل أنها فى بعض الأحيان كانت متعارضة ومتناقضة ، فقد يكون هذا دليلا على مدى عمق وخصوبة هذه الشخصية ، التى أجمع الكل ـ المؤيدون والمعارضون والنقاد ـ على احترامها والحديث عنها باجلال وتقدير .

وإذا كانت الفلسفة الحقة العميقة تثير من الأسئلة وتطل على آفاق جديدة غير مطروقة ، أكثر ما تقدم من اجابات حاسمة ونهائية ، فإن هذا الوصف ينطبق ـ إلى حد كبير ـ على بارمنيدس الذى جعل من جاؤا بعده ينظرون إلى موضوعات لم تكن مادة للتفلسف قبله ويسلكون مناهج وطرائق فى البحث كانت غير معروفة قبل بارمنيدس .

وختاما نعرف أن كثيرا من نظراته الفلسفية والمنهجية كانت من المقدمات الهامة التى طورها العلم واستفاد منها فى مسار الشاق نحو تفسير ظواهر الكون الذى يفشى فى ركن من أركانه .

وعلى ذلك يمكن القول أن رحلتنا فى صحبة بارمنيدس كانت مفيدة وممتعة ، وإن كنا نشعر ـ بحق ـ أن هذه الشخصية الفريده ما تزال فى حاجة إلى مزيد الضوء الذى يساعد على الأقتراب منها بشكل أفضل .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

ملحـــق النصـــوص

من كتـــاب Giorgiode Saritillana The origins of scientific thought New York 1961 .

ON NATURE *

1. the mares that draw have carried me on as far as ever my heart desired, since the brought me and set me on the much-heralded way of the goddess, which takes the man who knows unharmed through all things. On that way was I borne along ; for on it did the steeds, exceeding wise, carry me, Jrawing my car, and maidens showed the way. And the axle shed sparks in the hub - for it was urged round by the whirling wheels at each end-and gave forth a shrill sound, when the daughters of the Sun, hasing to convey me into the light, threw back their veils from off their faces and left the abode of Night.

There stand the gates of the ways of Night and of Day, fitted above with a lintel, below with a threshold of stone. They themselves, high in the air, are closed by mighty doors, and Justice the Great Avenger keeps the keys that open and shut. Her did the maidens entreat with gentle words and shill-fully persuade to unfasten without demur the bolted bars from the gates. Then, as the doors were thrown back, they disclosed a wide opening, when their bronze hinges swung alternately in the sockets fastened with rivets and heavy nails. Straight through them, on the broad way, did the maidens guide the horses and the car, and the goddess greeted me graciously, and took my right hand in hers, and spake to me these words :

Welcome, noble youth, you who come to my abode on the car that bears you tended by immortal charioteersl it is no ill chance, but all that is just and holy, that has sent you forth to.travel on this way> far, indeed, does it lie from the beaten

track of man. Meet it is that you should learn all things, as well the unshaken heart of well-rounded truth, as also the opinions of mortals, in which there is no certain relianeè; yet

* Translation by Giorgio de Santillana and Walter Pitts. The order of the fragments is that given by Dicls-Kranz. Our reading departs from others on several important points. Por justitieation we must refer 40 our forthcoming work on Parmenides.

A UNIVERSE OF RIGOR

This you shall learn too, how an explanation of things that appear must be considered valid when it goes through all that we know .

The Way of Truth :

2. Come now, I will tell you-and do you hearken to my saying and carry it away-the only two ways of search that can be thought of. The first one, beeause it exists and beeause it is impossible for it not to exist, is the way of convietion, for it follows truth. The other, because it does not exist and because it is nccessary that it shoutl not, is I tell you, a wholly unexplorable path. For you cannot know Not-Being-that is impossiblenor utter it .

3. For it is the same to be thought and to be .

4. Discern steadfasty with your mind the far and the near together. For Being does not divide from its connection with Being, not loosened up in arrangement everywhere, or compacted .

5. It is all the same to me from what point I begin, for I shall return to this same point .

6. One must say and think that there is Being ; for it is possible for it to exist, and nothing is not. This is what I bid you keep in mind. For I hold you back from this way of inquiry, first of all, and from that other also, upon which people who know nothing wander in two minds ; for helplessness guides the wandering thought in their breasts , so that they are borne along bewildered like men deaf and blind. Undiscerning crowds, in whose eyes the same thing and not the same exists and does not exist, and whose way goes back upon itselfl .

7, 8. For it shall never prevail that Non-Being exists; and do you debar your thought from this way of inquiry .

Nor let habitual experience force you on this track, using your eye unperceivingly or your ear full of noise of your tongue ; but do judge the subtle relutation of (their) discourses proceeding from me .

One path alone is left of which we know, that exists. In it are very many tokens that Being is uncreated and indestrueti-ble, one all through, whole, immovable, and without end . It never was, nor is it ever going to be ; for it exists now , all to-gether, a single continuum . For what kind of origin for it will you look for ? How, whence, could it have drawn its increase? Nor shall I let you say or think that it came from Non-Being ; for the latter is neither thinkable nor speakable .

Because it does not exist. And, if it came from nothing, what need could have made it arise later or sooner ? Therefore itmust either exist all together or not at all. Nor will the force of truth state that anything can arise out of Non-Being beside it . Wherefore, Justice does not loose ber fetters and allow it to come into being or pass away, but hols it fast .

So the decision about these (ways) lies in this : Whether it is possible or not ; and it has been decided accordingly, as was necessary, to suffer the one way to remain unthought on and nameless, for it is no true way, and that the other path is there and is genuine . How, then, can Being be going to be in the future ? Thus is its becoming extinguished and passing away not to be heard of .

Nor is it separated , since it is all alike, and there is no more anywhere, to prevent it from being continuous, or lesser, but everything is full of Being. Wherefore it is all continuous ; for Being adjoins Being .

Moreover , it is immovable in the bonds of mighty chains, without beginning and without end ; since coming about and passing away have been driven afar, and true belief has cast them away . Remaining the same in the selfsame place , it abides in itself . And thus it remains steady in its place ; for strong Necessity keeps it in the bonds of the limit that constrains it round . Because Being is not permited to be incomplete ; for it is not in want ; while if it were , it would miss being all .

It is the same thing to think and that there is an object of the thought ; for you cannot find thought outside Being , in which what has been said (i.e., the terms) exrms) exists. For there is not, and never shall be, anything outside Being, since Fate has chained it to remaining whole and immovable .

There will be a name for everything in it, as many (names) as men have assigned to things, believing them to be correct-coming into being and passing away, being and being not , change of place and alteration of bright color .

But since the last bound is defined on all sides , like a well-rounded sphere, it is equally poised from the center in all directions ; for it is necessary that it should not be greater in one direction and smaller in anothe . Nor is there Non-Being to provent it from reaching out to its like, nor is it possible for Being to be more here and less there , because it is all inviolable . For it is equal from everywhere , and fits equally in its limits .

A UNIVERSE OF RIGOR

The Way of Opinion

Here shall I close my trustworth speech and thought about the truth . Henceforward learn the notions of mortals , giving ear to the tricky order of my words .

For they have resolved to name two forms, of which it is wrong { to namel } one - in this they have gone astray .

They have assigned opposite characters to each, and marks separate from one another : on the one side the fire of

heaven, light, thin, in every direction the same as itself, but not the same as the other. On the other, opposite to it , dark night, compact and heavy as it were. Of these I tell you the wholle profitable disposition , in order that no mortal may surpass you in knowledge .

9. But now that all things have been named light and night, and the names which belong to the power of each have been assigned to these things and to those, all is full of light and dark night, together, which balance each other, since neither has anyhing to do with the other .

10 . And you shall know the origin of all the things on high, and all the signs in the sky, and the secret works of the glowing sun's clear toreh, and whence they arose . And you shall learn likewise of the wandering deeds of the round-eyed moon, and of her nature. You shall know, too the heaven that encloses round, whence it arose, and how Necessity took it and bound it to keep the limits of the stars . . .

11 . ... How the earth, and the sun, and the moon, and the Aether that is common to all , and the Milky Way , and the outermost Olympus , and the burning might of the stars arose.

12. ... The narrower (crowns) are filled with pure fire, and those supporting with night, and between these rushes a portion of fire . In the center of them is the Daemon that directs the course of all things ; for she rules over all dreaded birth and begetting, driving the femate to the male's embrace, and the male to the female .

13 . First of all the gods she contrived Dros.

14 . (The Moon) shining by night with borrowed light , wandering around the earth .

15 . (The Moon) Gazing lowards the rays of the sun .

16 . For as each one holds the combination of his far`wan-dering parts, so Mind is present in men ; for it is the same that thinks in all men and in each , a virtue of the components , for thought is the more .

ORIGINS OF SCIENTIFIC THOUGHT

17 . On the right (of the womb), boys, on the left, girls .

18 . When a woman and a man mix the seeds of Love totether, the power (of the seeds) which shapes (the embryo) in the veins out of divverent bloos can mold well-constituted bodies only if it preserves proportion. for if the powers war (with each other) when the seed is mixed, and do not make a unity in the body formed by the mixture, they will terribly harass the growing (embryo) through the fwofold seed of the sexes .

19 . ... Thus according to men's opinions, did these things come into being, and are now ; and in time they will thus grow up and then pass away. To each of these men assigned the seal of a name .

قائمـــة المراجـــع

أولاً : المراجع العربية: *

١ ـ **د. ابراهيم بيومي مدكور** (اشراف) معجم اعلام الفكر الانسانى (الجزء الأول) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ .

٢ ـ **د. أحمد فؤاد الأهواني** : « الفلسفة اليونانية »

٣ ـ **د. أحمد عتمان** : « الشعر الأغريقى : تراثاً إنسانياً وعالمياً » العدد رقم ٧٧ من سلسلة كتب عالم المعرفة ـ الكويت ـ ١٩٨٤ .

٤ ـ **د. أميرة حلمي مطر** : « الفلسفة اليونانية ـ تاريخها ومشكلاتها» دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٨ .

٥ ـ **برتراند رسل** : « حكمة الغرب » الجزء الأول ترجمة د. فؤاد زكريا ـ العدد ٦ من سلسلة عالم المعرفة بالكويت ـ ١٩٨٣ .

٦ ـ **د. فتح الله خليف** : مقال « بارمنيدس » معجم اعلام الفكر الانسانى (انظر المرجع رقم «١») .

٧ ـ **د. عبد الرحمن بدري** : « ربيع الفكر اليونانى » .

٨ ـ **د. عبد العظيم أنيس** : « العلم والحضارة ـ الحضارات القديمة واليونانى » المؤسسة المصرية للنشر بالقاهرة ـ بدون تاريخ .

٩ ـ **د. علي سامي النشار وآخرين** : « ديقريطس ـ فيلسوف الذرة » الهيئة المصرية العامة باسكندرية بدون تاريخ .

١٠ ـ **د. محمد علي أبو ريان** : « تاريخ الفكر الفلسفى » (الجزء الأول) دار المعرفة الجامعية باسكندرية ١٩٨٥ .

١١ ـ **وولتر ستيس** : « تاريخ الفلسفة اليونانية » ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد القاهرة ١٩٨٤ .

(*) هناك مراجع وردت فى الكتاب ولم نذكرها هاهنا .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

13 - Bertrand Russell : " **Mysticism and logic** " . London 1969 .

14 - Cornford, F. M : " **Platois Theory of Knowledge** " London 1979 .

15 - Giorgio de Santillana : " **The Ougins of Scientific Thaught** " New York 1961 .

16 - Guthrie, W. K. C. :" A History of Greek Philosophy" London 1962 .

17 - Jonathon Barnes : " **The presocratic Philosophees** " revised Edition. London 1982 .

18 - Karl Popper and John Eecles :

" The self and Its Brain " London 1990 .

19 - Edwerds : " **Encyclopedia of Philosophy** " London without date .

Articles : " **Aristotle** " and " **Parmenides** " .

فهرست البحث

رقم الايداع
٥٦٦٤ / ٨٩
١٩٨٩/٨/١٣

مركز الدلتا للطباعة
٢٤ شارع الدلتا - اسبورتنج
تليفون : ٥٩٥١٩٢٣